

موقف المرجعية الدينية في إيران من التطورات الداخلية للمدة (1962-1964م)

د. محمد رسن دمان السلطاني

كلية التربية الأساسية/ قسم التاريخ

Attitudes of the Religious Authorities in Iran Towards the Internal Events Between 1962 to 1964

Dr. Mohammad Risan Dman Al-Sultani

College of Basic Education / University of Babylon

m.resan72@gmail.com

Abstract

The research deals with the attitudes of the religious authorities towards the internal events in Iran. Al-Shah Mohammad Ridha Behlewi and his government put a number of projects and rules to apply in various aspects of the political, economic, and social life. This had been tinged with a western secular colour so it was confronted with a negative reaction on the part of the religious authorities. Their objection increased resulting in hindering some of the laws such as the agricultural reform law in 1962 which requires taking up the lands from the feudal lords and giving them to the farmers.

ملخص البحث

يتناول البحث دراسة موقف المرجعية الدينية من التطورات السياسية الداخلية في إيران، أخذ الشاه محمد رضا بهلوي وحكومته وضع عدد من المشاريع والقوانين لتطبيقها في مختلف نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكانت هذه ذات صبغة علمانية غربية مما أدى إلى ردة فعل من المرجعية الدينية تمثل بموقفها المعارض لتلك السياسة، واتخذت معارضتها شكلاً تصاعدياً أدى في النهاية إلى تعطيل بعض هذه القوانين، وابتدأت هذه السياسة عندما بدأت الحكومة بتطبيق قانون الإصلاح الزراعي عام 1962، ويقضي هذا القانون بأخذ الأراضي من الإقطاعيين وتوزيعها على الفلاحين، عارضت المرجعية الدينية قانون الإصلاح الزراعي ولكن الحكومة تمكنت من تنفيذ المشروع.

طرحت الحكومة قانون جديد لانتخابات مجالس الولايات يخالف بشكل واضح في بعض بنوده الأساسية الشريعة الإسلامية، وعارضته المرجعية الدينية بقوة أدت إلى إلغاء القانون، وأعلن الشاه محمد رضا بهلوي المبادئ الستة التي أطلق عليها الثورة البيضاء، نفذ الشاه هذا المشروع على الرغم من معارضة المرجعية الدينية، ونتيجة لسياسة الحكومة الداخلية ومعارضة المرجعية حدثت عدة صدامات أدت إلى اعتقال السيد روح الله الموسوي الخميني وحدث انتفاضة 15 خرداد/ 5 حزيران 1963، التي راح ضحيتها أعداد كبيرة من المواطنين المساندين لموقف المرجعية الدينية، وعندما مرت الحكومة ومجلس الشيوخ قانون الحصانة القضائية للمستشارين الأمريكيين، عارضت المرجعية الدينية ذلك القانون بشدة لاسيما السيد الخميني، فقامت الحكومة بإبعاده إلى تركيا في تشرين الثاني 1964م، وبعد إبعاد السيد الخميني ضعفت المعارضة في الداخل إلى حد كبير.

المقدمة

شهد تاريخ إيران للمدة (أيلول 1962- تشرين الثاني 1964م)، تطورات سياسية كبيرة تمثلت في بداية الصراع بين المرجعية الدينية في إيران والشاه محمد رضا بهلوي، الذي أخذ يعتمد سياسة داخلية تقوم على أساس العلمانية والتحديث في الدولة وبكافة مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإدارية وفقاً للنموذج الغربي الأوروبي، بدأت سياسة الشاه عندما بدأ بتنفيذ مشروع الإصلاح الزراعي وردت المرجعية الدينية عليه بالرفض بعدة فعاليات كان أهمها المظاهرة التي انطلقت في شهر أيلول 1962، والتي مثلت بداية الخلاف بين المرجعية الدينية والشاه محمد رضا بهلوي، واستمر موقف المرجعية المعارض لمشاريع الشاه محمد رضا بهلوي. واتخذت الأوضاع الداخلية في إيران طابع التصعيد بين الطرفين بعد كل مشروع يطرحه الشاه حتى وصل حد استخدام القوات المسلحة ضد المتظاهرين في شهر خرداد/ حزيران

1963، واعتبر ذلك التاريخ الرسمي لبداية الثورة الإسلامية في إيران ضد الشاه محمد رضا بهلوي، واتسم موقف المرجعية الدينية بالتضامن المطلق والتكاتف في كافة مواقف المعارضة والتصدي لسياسة الشاه الداخلية، وتبلورت في تلك المدة القيادة المرجعية وبتفويض وتأيد من مراجع الدين في إيران للسيد روح الله الموسوي الخميني الذي تميزت قيادته بالصلابة والحدية في معارضته للسياسة الداخلية في إيران وفي انتقاده العلني لها، وانتهت الأمور إلى قيام الحكومة الإيرانية بنفي السيد الخميني إلى تركيا في شهر تشرين الثاني 1964م.

تركزت المعارضة الدينية آثارا كبيرة على الموقف السياسي في إيران ليس فقط على السياسة الداخلية فحسب، وإنما تعداه إلى السياسة الخارجية التي تأثرت بالصراع الشديد بين الشاه والحركة الإسلامية التي أجبرت الشاه على تغيير سياسته الخارجية بما يتفق ومرحلة بما يضمن استمراره في السيطرة على الساحة الداخلية وإقصاء الحركة الإسلامية. ومن الضروري تسليط الضوء على سياسة الشاه محمد رضا بهلوي الداخلية في تلك المدة والتي تمثلت بعدد من المشاريع التي نفذتها الحكومة الإيرانية، وروجت لها بحملات إعلامية كبيرة، لإظهار تلك المشاريع بأنها إصلاحية وشمولية ومستندة بقوة إلى قناعة راسخة بأن التطور لا يتم إلا بتطبيق الأنموذج الغربي في بناء الدولة.

ومعرفة أهم المرتكزات الفكرية والدينية والسياسية التي استندت عليها المرجعية الدينية في إيران في توجيه المعارضة لمشاريع وقوانين الحكومات الإيرانية المتعاقبة أثناء مدة الدراسة، والكشف عن أهم رموز المرجعية الدينية الذين عارضوا سياسة الشاه محمد رضا بهلوي الداخلية والذين تبلورت زعامتهم الدينية بشكل واضح نتيجة لمواقفهم في معارضة الحكومة الإيرانية. والكشف عن تأثير القوانين الإصلاحية التي أصدرتها الحكومة في إيران على العلاقة بين الحكومة من جهة والمرجعية الدينية من جهة أخرى، والتوصل إلى موقف الشعب الإيراني من تلك القوانين ومدى تفاعله معها سواء أكان ذلك سلبا أم إيجابا، وتهدف الدراسة إلى معرفة ما إذا كان هناك تأثير دولي أو إقليمي لسياسة الشاه الداخلية والمواجهة مع المرجعية الدينية على أن الشاه إلى سياسته الداخلية اتبع سياسة خارجية مخالفة لتوجهات المرجعية الدينية ولتوجهات الشعب الإيراني الإسلامية التي كانت للشعب مواقف سياسية واضحة تجاهها، على سبيل المثال قضية النفط والعلاقة مع إسرائيل وغيرها.

يتكون البحث من أربعة مباحث أساسية، تناول المبحث الأول بالدراسة قانون الإصلاح الزراعي أو إصلاح الأراضي الذي يعد من أول القوانين التي طرحها الشاه محمد رضا بهلوي ويقوم على أساس إعادة توزيع الأراضي على الفلاحين بعد مصادرتها من الإقطاعيين، وتعد هذه الخطوة تغيير لسياسة وفلسفة الحكومة تجاه الاقتصاد الإيراني في الجانب الزراعي، إذ أدى ذلك إلى تغيير نمط العلاقات الإنتاجية في الريف، وأوضح البحث أهم نتائج الإصلاح الزراعي، ولأهمية ذلك الموضوع طرحته حكومة علي أميني للتنفيذ عام 1962م، وطرحته حكومة أسد الله علم كأحد بنود الثورة البيضاء، ولأهميته رأى الباحث أن يوضع في محور مستقل. ودرس المبحث الثاني بداية المعارضة الدينية لسياسة الشاه الداخلية والتي تمثلت في موقف المرجعية الدينية من قانون انتخاب مجالس الولايات الذي أصدرته حكومة أسد الله علم، وكان القانون يخالف في عدد من بنوده مبادئ الشريعة الإسلامية، موقف المرجعية الدينية من مبادئ الثورة البيضاء التي أعلنها الشاه محمد رضا بهلوي وتتكون من ستة بنود تعالج عدد من جوانب حياة الشعب الإيراني. وأتى المبحث الثالث الذي يمثل مرحلة الصدام بين المرجعية الدينية والحكومة الإيرانية وهو ما تمثل في أسباب اندلاع انتفاضة 5 حزيران (11 خرداد) 1964، ودور المرجعية الدينية في قيادة الانتفاضة وأهم نتائجها. وجاء المبحث الرابع ليدرس موقف المرجعية الدينية من إصدار الحكومة قانون الحصانة للخبراء والمستشارين الأمريكيين في إيران ونتائج ذلك القانون على العلاقة بين المرجعية الدينية والشاه محمد رضا بهلوي على المدى البعيد وحاول الشاه عقب المعارضة الصلبة لرجال الدين للعلاقات الإيرانية الأميركية وانتقادهم الشديد لقانون الحصانة إلى محاولة إقصاء المرجعية عن الساحة السياسية بإبعاد السيد الخميني الذي كان يمثل في تلك المرحلة أكثر المراجع تأثيرا على الجماهير ومن أشد المراجع عداوا لسياسة الشاه وعلاقاته مع الولايات المتحدة الأميركية.

اعتمد الباحث على عدد من المصادر لتزويد البحث بالمعلومات المطلوبة ومن أهمها البيانات والخطب التي أصدرها بعض مراجع الدين لاسيما السيد روح الله الموسوي الخميني، والتي أوضحوا من خلالها موقف المرجعية الدينية من القوانين التي نفذها الشاه محمد رضا بهلوي والتي كانت موضع خلاف مع المرجعية الدينية، وحصل الباحث على عدد من وثائق السافاك والتي وثقت موقف علماء الدين من المشاريع التي طرحها الشاه، ومن المراجع التي أغنت البحث بالمعلومات الكتب الصادرة باللغة الفارسية. كما اعتمد البحث على عدد من الكتب المترجمة من اللغة الفارسية التي من أهمها (تاريخ إيران السياسي الحديث) مؤلفه جلال الدين المدني، والذي وثق أحداث إيران في مدة البحث بصورة دقيقة وشاملة، كما اعتمد على عدد من الكتب الفارسية الغير معربة، ومن أهم الكتب المؤلفة باللغة العربية كتاب (نقطة البداية) لحميد الأنصاري الذي وثق مواقف السيد الخميني والمرجعية الدينية في العهد البهلوي، واعتمد على كثير من الكتب لمؤلفين عرب وأجانب من المهتمين بالتاريخ الإيراني.

المبحث الأول: بداية المشاريع الإصلاحية وموقف المرجعية الدينية

بدأ الشاه محمد رضا بهلوي⁽¹⁾ ينتهج سياسة جديدة مغايرة لسياسته المعتادة بعد أن تخلص من جميع منافسيه، وتقوم على أساس إصدار عدة مشاريع ومحاولة تطبيقها على أرض الواقع في إيران وهذه المشاريع في مجملها تنصف بأنها كانت تمثل رؤية الشاه ومستشاروه وأعضاء حكومته في تنفيذ سياسته العلمانية والتغريبية وفق النمط الأوروبي، مستفيدا من تغيرات في الظروف المحيطة به داخليا وخارجيا، ومثلت المرجعية الدينية القوة الداخلية المعارضة لسياسة الشاه الداخلية في المدة (1962-1964)، مستمدة ذلك من رأي علماء الدين في إيران باعتبار أنفسهم المدافعين عن حقوق الشعب ضد جميع الحكومات التي حكمت إيران منذ نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، وأدى موقفها من سياسة الشاه إلى بداية العداء بينهما وتدرجت حتى وصلت إلى درجة القطيعة التامة ثم الصراع والعداء بين الطرفين.

سعى الشاه محمد رضا بهلوي بعد عام 1953 إلى التودد للمؤسسة الدينية فقام بمحاولات ليضفي على شخصه ونظام حكمه مظهرا إسلاميا، إذ قام بزيارات إلى الأماكن المقدسة، لاسيما ضريح الإمام الرضا(ع)، ورعاية مجموعة من العلماء، وأوفد رئيس الوزراء علي أميني⁽²⁾ لزيارة السيد أبو القاسم الكاشاني⁽³⁾، في المستشفى، ونشرت جميع الصحف

(1) الشاه محمد رضا بهلوي (1919-1980م) خلف والده الشاه رضا خان الذي استقال عام 1941م تحت ضغط الحلفاء الذين احتلوا إيران في الحرب العالمية الثانية، وسمح بعد توليه للحلفاء بإبقاء قواتهم في إيران وإرسال المساعدات إلى الاتحاد السوفيتي(السابق) عبر إيران، عارض تأميم النفط الذي أقدم عليه رئيس الوزراء محمد مصدق، فطرده مصدق من البلاد، ولكنه عاد بدعم من وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، كان يسيطر على الحكومة على الرغم من وجود برلمان ومجلس وزراء، في 26 تشرين الثاني 1967م توج نفسه شاهنشاه(ملك الملوك) في احتفالات المدينة التاريخية (برسيبوليس) التي دعا إليها ملوك ورؤساء العالم وأنفق عليها أموالا طائلة، أطاحت بحكمه الثورة الإسلامية مطلع عام 1979م، فهرب إلى الخارج، قصد الولايات المتحدة الأميركية التي لم تقبل بقاءه، فانتقل إلى بنما ثم انتقل إلى مصر في آذار 1980م حيث توفي فيها. ينظر باقر عاقل: شرح حال رجال سياسي ونظامي إيران، جلد أول، تهران، 1380هـ، ص 218-223؛ علي أكبر معلم: علل وعوامل فروباشي رزيم بهلوي، جاب دوم، تهران، 1387ش. محمد حسنين هيكل: زيارة جديدة للتاريخ، دار الشروق، القاهرة، (د.ت)، ص 289-364؛ عبد الفتاح أبو عيشة(إعداد): موسوعة القادة السياسيين (عرب وأجانب)، دار أسامة، عمان، 2005م، ص 46-47؛ نوره الهيداني: الإمام الخميني رائد الوحدة في القرن العشرين، المركز الثقافي للدراسات الإسلامية، بغداد، 2010، ص 64؛ علي البغدادي: إيران تاريخ وحضارة، ط2، المركز الثقافي للدراسات الإسلامية، بغداد، 2010م، ص 48.

(1) علي أميني(1905-1992م)، سياسي إيراني، درس القانون في جامعات فرنسا وانظم إلى السلك القضائي الإيراني، مساعد رئيس الوزراء 1940م، وزير الاقتصاد ثم العدل 1955م، سفير إيران في واشنطن(1956-1958)، رئيس الوزراء(1961-1962). ينظر جعفر مهدي نيا: زندكي سياسي علي اميني، تهران، 1368هش؛ رجال عصر بهلوي، علي اميني به روايت اسناد ساواك، جلد دوم، 1379هش؛ باقر عاقل: المصدر السابق، جلد سوم، ص 1257-1278؛ مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج4، دار رواد النهضة، بيروت، 1995، ص 213.

(3) السيد أبو القاسم ابن مصطفى بن حسين الحسيني الكاشاني(1882-1962م)، من رجال ثورة 1920م في العراق، نفاه الإنجليز إلى العراق، فبرزت زعامته الدينية، أيد الدكتور مصدق في تأميم النفط. كان من رجال الدين الحركيين دعا إلى أن يلعب رجال الدين دورا كبيرا في الأحداث السياسية، كان من معارضي الشاه، أسس مع آخرين حركة القوميين الإيرانيين، نفى أكثر من مرة خارج إيران، ساند مصدق بقوة ولكنه اختلف معه بعد انتصاره، وكان ذلك من أهم عوامل سقوطه. ينظر علي دواني: نهضت روحانيون إيران، بنياد فرهنگي امام رضا(ع)، جلد دوم، 1377هش، ص 202-294؛ جعفر الخليلي: موسوعة العتبات المقدسة، ج1، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1987م، ص 107؛ احمد الموصلي: موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، ص 370.

الخبر مع صورة لأمني وهو يقبل يد السيد الكاشاني، فضلا عن ذلك ضمت وزارة أمني نائباً لرئيس الوزراء للشؤون الدينية⁽¹⁾.

قانون الإصلاح الزراعي

تعتمد الهيكلية الاجتماعية والاقتصادية التقليدية في إيران على الزراعة بشكل أساسي التي تعد عائقاً أساسياً أمام إجراء الإصلاحات الاقتصادية، وإيران كانت حتى بداية الستينات من القرن العشرين بلداً إقطاعياً، يكاد يملك أرضه الزراعية رؤساء القبائل والأسر الكبيرة، وكان كل واحد منهم شبه مستقل في إقطاعيته ويقف حجر عثرة بوجه الحكومة المركزية وكثيراً ما تتشعب بينهم وبين الحكومة خلافات ومصادمات⁽²⁾.

كانت إيران تفتقر في تلك الظروف إلى الاستعداد الكافي للتوسع في إنتاج النفط وزيادة مدخولاتها النقدية من بيعه مستقبلاً، وهي الإيرادات التي كان ينبغي أن تتفق في شراء التجهيزات العسكرية والسلع والبضائع الأمريكية الأخرى، لذا فقد انهالت المشاريع والاقتراحات على مجلسي (الشورى والشيخ) لتغيير الظروف وتهيئة الأرضية في إيران لتطوير قطاعات الاقتصاد⁽³⁾.

يعد مشروع الإصلاح الزراعي أو (إصلاح الأراضي) خطوة اختباريه أراد الشاه محمد رضا بهلوي إعداد الأرضية للمصادقة على الثورة البيضاء، وكانت خطوة مدروسة، إذ رافقت طرح مشروع الإصلاح الزراعي حملة دعائية مكثفة وشعار كالوقوف بوجه الباشاوات وإقطاعيين، وتقسيم الأراضي بين الفلاحين والمحرومين، وزيادة الإنتاج، فكانت أي معارضة لمشروع الإصلاح الزراعي، تعد بمثابة دعم للإقطاعيين وملاك الأراضي الكبار وكانت تقمع بقسوة⁽⁴⁾.

كان هدف الحكومة الإيرانية (بناء على نصائح الولايات المتحدة الأمريكية) تهدف إلى إزالة طبقة كبار ملاكي الأراضي وإقامة طبقة مكانها من صغار الفلاحين الملاكين عملياً، كان هذا الإصلاح يرمي إلى غايتين، من جهة يبعد الأنظار عن الانتقادات الموجهة إلى استبداد الشاه، ومن جهة ثانية كان يستجيب لمطلب تحديث الزراعة⁽⁵⁾، ويتكون مشروع الإصلاح الزراعي من لائحة تحتوي على ثمانية فصول، أعدت بصورة مستعجلة، وكلفت وزارة الزراعة والعدل والداخلية بتنظيم تعليمات المباشرة بالعمل، فكان الإصلاح الزراعي يمثل انطلاقة إصلاحات الشاه محمد رضا بهلوي في إيران، و لعب وزير الزراعة الدكتور حسن أرسنجاني دوراً بارزاً في تطبيق مشروع الإصلاح الزراعي إلى جانب كونه عنصراً أساسياً في حكومة علي أمني، فاختيار الدكتور أرسنجاني لوزارة الزراعة يعود إلى معلوماته الواسعة وخبرته الكبيرة بالأمور الزراعية وأنظمة الشركات المختلفة⁽⁶⁾.

أنطلق مشروع الإصلاح الزراعي من قرى منطقة مراغة في الشمال الغربي من محافظة أذربيجان، لخبرة وزير الزراعة بهذه المنطقة وما فيها من مالكيين ومتنفذين، ويعتقد أرسنجاني أنه إن انتصر على الملاكين في مراغة، فسوف يكون عليه من السهل تنفيذ المشروع في كافة أنحاء البلاد، مارس مهمته على وجه السرعة، إذ لم يفاجئ المالكين وحدهم فحسب، بل حتى رئيس الوزراء وسائر النخبة الحاكمة في البلاد والمعارضة الأمر الذي أثار القلق لدى الشاه الذي كان يسعى لأن ينسب إليه أي تحول في إيران مهما كان سطحياً وبسيطاً⁽⁷⁾.

علق الدكتور أرسنجاني على تنفيذ المشروع قائلاً: (كنت أدرك ضرورة مباشرة العمل على أساس السرعة والقوة، وذلك لغياب الثورة الاجتماعية في إيران، والتي تعتبر الحجر الأساس في الإصلاحات، بل حتى الدستور الإيراني ناصر الإقطاعية، فكانت الأسرة البهلوية من كبار إقطاعيي البلاد، لو كان بكل كيانه الإصلاح الزراعي بمعناه الواقعي، وإن أردنا

(3) فهمي هويدي: إيران من الداخل، ط4، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1991، ص 26.

(4) زهير مارديني: الثورة الإيرانية بين الواقع والأسطورة، دار اقرأ، بيروت، 1986، ص 118.

(5) حميد الأنصاري: حديث الانطلاق، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، طهران، 2005م، ص 56.

(6) موسى نجفي و موسى حقاني: تاريخ معاصر إيران، اصفهان، 1390ش، ص 322.

(7) تيري كوفيل: إيران الثورة الخفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، دار الفارابي، بيروت، 2008م، ص 54.

(8) غلام رضا نجاني: التاريخ إيران المعاصر، ترجمة: عبد الرحيم الحمراي، مطبعة ستار، قم المقدسة، 2008م، ص 198.

(1) موسى نجفي و موسى حقاني: المصدر السابق، ص 323.

تأخير تنفيذ المشروع لما بعد دراسة كيفية تطبيقه، واستغرقنا بضع سنين في توزيع الأراضي، لتغيرت ماهية المشروع، وأعلم إن هذا الوضع هو الذي ساد في بعض البلدان، مثل الفلبين وسوريا ومصر، ولم أكن أرغب في تكراره في إيران... وأوضح إن هدف الشاه من المشروع: (إن الشاه بحد ذاته أكبر إقطاعي في إيران، وهو ينظر إلى الإصلاح الزراعي من خلال مصالحه الشخصية، وقد وقف ظاهرياً إلى جانب المشروع بغية توسيع قاعدته الشعبية بين الناس، وإضعاف منافسيه من كبار الإقطاعيين). وأخذ الشاه يشعر بالامتناع من الشهرة والحب الذي يحظى به وزير زراعته بين صفوف أبناء الشعب، وأخذ يتربص به الدوائر بغية إقالته والخلاص من شبحه الذي أخذ يقض مضجعه، وقد أقدم الشاه على إقالته من منصبه في شباط 1963م وتغيرت ماهية الإصلاح الزراعي كما كان يتوقع أرسنجاني⁽¹⁾.

كان مشروع الإصلاح الزراعي مشروعاً أميركياً، وهو أحد أسس السياسة الأميركية، في ذلك الوقت، التي جرى تنفيذها في جميع الدول التابعة للسياسة الأميركية، من قارة أميركا الجنوبية إلى آسيا وأفريقيا، قامت هذه الدول بتنفيذ هذه السياسة وبشكل متشابه ومتزامن، لأن الأميركيين كانوا يرون أن الدولة إذا أرادت الاستقرار فعليها إرضاء الفلاحين، وأن هذا الإصلاح طبق في اليابان بإشراف خبراء أميركان وفي الصين قبل عام 1949م، وطبق في كوريا والفلبين⁽²⁾.

وزعت الحكومة مساحات من الأراضي قدر أصحابها ثمنها (13) بليون ريال، لكن ما حصل عليه المزارعين الصغار المبعثرين في آلاف القرى أقل من (3) ملايين ريال، فكانت بذلك الثورة خيراً على كبار الإقطاعيين الذين استثمروا ما حصلوا عليه من أموال في المشاريع الصناعية والتجارية، فنشأت في إيران طبقة من رجال الأعمال والتجار حلت محل الطبقة القديمة من ملاك الأراضي⁽³⁾، وأدى إلى تحويل المدن الإيرانية وفي مقدمتها طهران إلى مناطق (جذب بشري) إذ وفد إليها مئات الألوف من أبناء الأقاليم والعمال الزراعيين والقرويين العاطلين، وبدأ واضحاً أن هدف التنمية هو خلق قطاع صناعي لصالح الأثرياء والاستثمارات الغربية، الأمر الذي يصب في المدن ويؤدي إلى تفريغ الريف، وقد بلغ الذين نزحوا من الريف إلى المدن في المدة 1962-1972 حوالي ثلاثة ملايين نازح، وسكن طهران ثلاثة أرباع المليون، تركزوا حول العاصمة في (44) حياً سكنياً فقيراً⁽⁴⁾.

اعتبر المشروع الطبقة المتوسطة من الفلاحين قوة اجتماعية فاعلة في المجتمع، إلا إن عدد مثل هؤلاء الفلاحين لم يكن يتجاوز عشر هذه الطبقة في إيران، فالفلاحون الفقراء حصلوا على أرض صغيرة، بينما لم يحصل البعض الآخر على شيء من تلك الأراضي، الأمر الذي اضطر أغلبية الطبقة الفلاحية الفقيرة إلى الهجرة إلى المدن بحثاً عن عمل، حتى اضمحل القطاع الزراعي في البلاد، فأصبح هذا البلد الذي كان يعيش حالة اكتفاء-على الأقل بالنسبة لمختلف المحاصيل الزراعية-يستورد الغلّة والعلف وأبسط المنتجات الزراعية⁽⁵⁾، واعتمد الإصلاح الزراعي في إيران في المجالين التجاري والصناعي أساساً على الاستثمارات الأجنبية لاسيما الأميركية، والحق ذلك إضراراً كبيرة بالزراعة الإيرانية، فتحوّلت إيران خلال سنوات من تنفيذ الخطة من بلد مصدر للقمح إلى بلد مستورد أساسي له، كما أدت إلى هجرة أهالي القرى إلى المدن واستخدامهم كعمال رخيصي الأجرة لخدمة صناعات التجميع والخدمات، وأدت خلال أحد عشر عاماً من هذه السياسة إلى تفريغ عشرين ألف قرية من سكانها⁽⁶⁾.

أخفقت الثورة الزراعية وأدى ذلك إلى إحباط الكثير من آمال الفلاحين الذين استلموا قطعة أرض، إذ وجد أن 70% لم يستلم ما يكفي لسد حالة الكفاف، وبقي (1، 2) مليون من العمال الزراعيين بدون أرض⁽⁷⁾، وحرمتهم الثورة الزراعية من المساندة المالية التي كانوا يتلقونها من الإقطاع من جهة، ومن شبكة التسويق التي كان يسيطر عليها الإقطاعيون من جهة

(2) غلام رضا نجاتي: المصدر السابق، ص 202.

(3) أحمد مهابة: إيران بين التاج والعمامة، دار الحرية، القاهرة، 1989، ص 108.

(4) زهير مارديني: المصدر السابق، ص 118-119.

(5) فهمي هويدي: إيران من الداخل، ص 30.

(6) غلام رضا نجاتي: المصدر السابق، ص 202.

(7) حميد الأنصاري: حديث الانطلاق، المصدر السابق، ص 57.

(1) علي ناغي علي خان (إعداد): الشاه. وأنا، المذكرات السرية لوزارة البلاط الملكي (أسد علم) الأسرار الكاملة لأيام الشاه الأخيرة قبل الثورة الإسلامية بإيران، ترجمة: فريق من الخبراء العرب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2011م، ص 20.

أخرى، ولم يوفر لهم مساندة مالية بديلة ولم ينجح بتوفير احتياجاتهم من الأسمدة أو خلق نظام بديل للتسويق، ولذلك نزح الفلاحون بأعداد كبيرة إلى المدن، إذ اخذ التصنيع يوفر فرصا لبعضهم، بينما بقي القسم الآخر يبحث عن عمل⁽¹⁾. ونتيجة للثورة الزراعية، فلم تحصل طبقة الفلاحين على أي نصيب من عملية التنمية الاقتصادية، فقد كانت تعيش تحت الحد الأدنى من الفقر، وبعد مضي عشر سنوات من إصلاحات الشاه الزراعية كان ما يقرب من 80% من أفراد الريف الإيراني يحصلون على ما يقرب من 200 دولار فقط في العام وحوالي نصف سكان الريف لا يزيد دخل الواحد منهم عن 70 دولار في السنة⁽²⁾.

أدت الثورة الزراعية إلى الإخلال بنظام الإنتاج والعلاقات الإنتاجية في الريف الإيراني مما أدى إلى أن تكون نتائجها عكسية فلم تحقق زيادة الإنتاج ولم تسهم في تطوير الواقع الاجتماعي للريف لعدة أسباب منها:

- 1- أن الريف الإيراني كان يتبع النظام الإقطاعي الذي تكون مساحات واسعة من الأراضي بيد عدد قليل من المزارعين الذين يملكون الخبرة والأموال ويقومون بإدارة الإنتاج الزراعي عن طريق توفير المستلزمات المطلوبة وجلب وإدارة الأيدي العاملة والخبرات المطلوبة وهذا النمط من الزراعة يتميز بأنه من أنماط الزراعة الواسعة ويتميز بالإنتاج الوفير لمحاصيل معينة لاسيما الحبوب والمحاصيل التجارية.
- 2- أن مشروع الحكومة في القضاء على الإقطاع كان يتميز بأنه إعلامي وشكلي وسياستها لم تكن مدروسة بشكل كافي مما أدى إلى أن تفقد إيران مكانتها كمنتاج لكثير من المحاصيل وكانت تسد على الأقل حاجاتها من المحاصيل المهمة.
- 3- لم توفر الحكومة المستلزمات الضرورية للزراعة، لاسيما الدعم المالي وشبكة الإنتاج والتسويق التي بقي الفلاحين في إيران يفتقدون إليها مما أدى بهم إلى الاتجاه نحو المحاصيل القليلة الكلفة لسد حاجياتهم المعيشية والكثير منهم هاجر من الريف إلى المدينة.

تلقت المرجعية الدينية مشروع الشاه محمد رضا بهلوي في مجال الزراعي التي كان يهدف منها إلى تقوية أركان نظامه، بتحفيز كبير وعارضتها منذ البداية، حتى إن الإصلاح الجزئي والسطحي الذي بدأت به الحكومة توجهاتها الجديدة، لم ترض المرجعية الدينية فوقف ضدها حتى علماء الدين الذين كانوا في ذلك الوقت -بمعنيين- عن الأمور السياسية، فتحدثت كلمة علماء الدين؛ بأن أي تغيير للواقع السائد يتنافى مع روح الشريعة ومضامين الدستور، وعندما استفتى الشاه السيد حسين البروجردي⁽³⁾، في الإصلاح الزراعي أجاب: (إن الدولة التي طبقت الإصلاح الزراعي كانت قد قامت بتغيير النظام الحاكم تغييرا جذريا أولا، ثم أقدمت على الإصلاح الزراعي (يقصد مصر)⁽⁴⁾. ونتيجة لموقف المرجعية الدينية تم تنظيم إضراب عام في سوق طهران في شهر كانون الأول عام 1962م⁽⁵⁾، أما أراضي الأوقاف التي كانت تحت إدارة المرجعية الدينية، فقد طبقت عليها الإصلاح الزراعي، وعارض الكثير من العلماء وأفتوا بأن مصادرة أملاك الخاصة ومصادرة الأوقاف الدينية عمل يتنافى ومبادئ الإسلام⁽⁶⁾.

(2) احمد مهابة: المصدر السابق، ص 110.

(3) للمزيد ينظر: السيدة زهرة: الثورة الإيرانية، الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بجريدة الأهرام، القاهرة، 1985م، ص ص 91-93.

(4) آية الله السيد حسين علي الطباطبائي البروجردي ولد في مدينة بروجرد سنة 1292 هـ، هاجر للدراسة إلى أصفهان والنجف ومشهد ثم استقر في مدينة قم المقدسة، تسلم بعد وفاة السيد أبو الحسن الأصفهاني المرجعية الدينية، توفي سنة 1961م. ينظر: رسول جعفریان، جريان ها و سازمان های مذهبی- سیاسی ایران، نشر علم، تهران، 1390 هـ، ص 236-281؛ مهدي بامداد: شرح حال رجال ایران در قرن 12 و 13 و 14، انتشارات فردوس، تهران، 1384 هـ، ص 266؛ حميد الأنصاري: الإمام الخميني من المهد إلى اللحد، المكتبة الجعفرية، (د.م) 2003، ص 15؛ عبد الكريم آل نجف: من إعلام الفكر و القيادة المرجعية، ج 1، مركز الهدى للدراسات الحوزوية، النجف الأشرف، 2007م، ص ص 54-56؛ حسن عيسى الحكيم: المفصل في تاريخ النجف الأشرف، ج 7، مكتبة الكوفة، بيروت، 2008م، ص ص 340-341.

(5) نقلا عن: فهمي هويدي: المصدر السابق، ص 26.

(6) كمال مظهر احمد: دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، بغداد، 1985م، ص 189.

(7) زهير مارديني: المصدر السابق، ص 119.

كان من اشد معارضي الإصلاح الزراعي من علماء الدين السيد محمود الطالقاني⁽¹⁾، الذي طالب بالاهتمام بمصالح الأوقاف الدينية التي عملت الدولة وفق مشروع الإصلاح الزراعي على مصادرتها، مما أدى إلى اعتقاله⁽²⁾، وقدم السيد محمود الطالقاني نقدا ايجابيا لقوانين الإصلاح الزراعي، وتميز هذا النقد بأنه لم يدافع عن مصالح كبار رجال الدين، وإنما ركز على مصالح الفلاحين والأوقاف الدينية التي كانت مصدرا للأنفاء على مئات الآلاف من فقراء الريف الإيراني، فضلا عن مصالح الشعب الإيراني بصورة عامة، وطرح أفكاره حول تصوره للنظام الإسلامي الاقتصادي والاجتماعي المثالي، من خلال كتابه المعروف بـ (الإسلام والملكية) الذي صدرته الحكومة في العهد البهلوي⁽³⁾.

لم يكن للمؤسسة الدينية موقفا حاسما بإمكانه إيقاف مشروع الشاه محمد رضا بهلوي بسبب:

1- الظروف التي كانت تمر بها المرجعية الدينية في ذلك الحين، ففي آذار 1961م توفي آية الله السيد حسين البروجردي، وفي آذار 1962م توفي آية الله السيد أبو القاسم الكاشاني ولم تتبلور المرجعية القيادية بعد لأي من علماء المسلمين في إيران، الأمر الذي أدى إلى حدوث فراغ قيادي في الحوزة العلمية عمل الشاه على استغلاله لتنفيذ سياساته بشكل لا يسمح لأي من العلماء بمعارضته.

2- نتيجة للحملة الإعلامية التي رافقت تنفيذ المشروع والأهداف المعلنة فلم يكن من السهولة معارضته، لان من يعارضه يتهم بالرجعية ومساندة الإقطاعيين ومعاداة طموح الشعب الإيراني.

المبحث الثاني: بداية معارضة المرجعية الدينية لسياسة الشاه الداخلية

تعديل قانون انتخابات مجالس الولايات بعد أن اخذ الشاه بتطبيق مشاريعه الإصلاحية برزت عدة عوامل أدت إلى بداية الصدام بين المرجعية الدينية والشاه محمد رضا بهلوي لأسباب منها:

1- ظهور شخصية علمائية في المرجعية الدينية أخذت تتصدى لمشاريع الشاه الداخلية وأخذت الأوساط العلمية في الحوزة العلمية تلتف حولها وهي شخصية السيد روح الله الموسوي الخميني، وكان السيد الخميني قد بدأ نشاطه العلمي في التدريس سنة 1946م، واتسع درسه بعد سنة 1951م ليتجاوز حلقة درسه، حلقة درس السيد البروجردي، وبحلول سنة 1964م كان يقدر عدد الملحقين بصوفه من طلبة البحث الخارج بألف ومائتي طالب، وهو رقم كبير في المرجعية الدينية⁽⁴⁾، وعلى الرغم من ذلك التزم السيد الخميني بالعمل ضمن إطار المرجعية الدينية، ومفهوم قيادة العلماء كان دائما "أسمى لديه فلم يقدم على التحالف مع قوى خارج المرجعية الدينية، على العكس من السيد أبو القاسم الكاشاني والسيد محمود الطالقاني اللذان كانا يتحالفان مع قوى خارج المرجعية الدينية (كالحركات القومية والليبرالية السياسية)⁽⁵⁾.

اختار السيد الخميني موقف الصمت من الأوضاع الداخلية في إيران بسبب ولاءه للمرجعية وقناعته أن تحول الدولة والمجتمع وفقا للمبادئ الإسلامية، يمكن أن يحدث فقط في ظل رعاية العلماء العاملين كجماعة متماسكة يهتدون بمرجعية التقليد⁽⁶⁾، ويرى تداخل الدين والسياسة وعدم إمكانية الفصل بينهما، بل يرى أيضا أن الدين هيكل روحه السياسة⁽⁷⁾، وكان

(8) ولد سنة 1910م وهو احد المنظرين المهمين للثورة الإسلامية، درس في قم والنجف عارض الشاه رضا بهلوي فسجن عدة اشهر، تعاون مع مهدي بازرگان للوقوف بوجه الشيوعية بعد تنازل الشاه في عام 1941م أصبح جزءا "مهما حركة المقاومة في إيران، أمضى سنوات طويلة في السجن والمنفى، أطلق سراحه سنة 1978م، واختير لمجلس الخبراء، تدعى عدة مجموعات في ايران انتمائها إليه سياسيا وثقافيا مثل حركة تحرير إيران ومجاهدي خلق. ينظر: عليرضا ملائي تواني: زند كينامه سياسي آيت الله طالقاني، تهران، 1388؛ علي دواني: نهضت روحانيون إيران، المصدر السابق، ص 238-245؛ عميد زنجاني وعباس علي: انقلاب اسلامي وريشه ها ودستورها، انتشارات جواد الأئمة عليه السلام، مشهد، 1376هـ، ص 407-417.

(1) وليد محمود عبد الناصر: إيران صعود وهبوط التيار التقدمي الإسلامي 1965-1981، دار المستقبل العربي، بيروت، 1993م، ص 53.

(2) احمد مهابة: المصدر السابق، ص 50.

(3) إدموند بيرك و إيرا لايبوس (تحرير): الإسلام والسياسة والحركات الاجتماعية، ترجمة: محروس سليمان، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000م، ص 440.

(4) المصدر نفسه، ص 419.

(5) محمد رضا وصفي: إطلالة على أسلمة السلطة وأسنه الساسة في فكر الإمام الخميني، دار الهادي، بيروت، 2008م، ص 25-26.

(6) عباس الصالحي: الإمام الخميني (ره) والمرجعية الدينية، مجموعة باحثين: آراء في المرجعية الدينية، دار الروضة، بيروت، 1994م، ص 319.

ينعى وجود (الورع الزائف) في المرجعية الدينية (أي العلماء الذين يفصلون بين الدين والسياسة)⁽¹⁾، وهذا سبب انتقاد الخميني لهم:

(يتصور الكثيرون بل الأكثرية ومن أهل العلم، والقشربين المقدسون أن لا علاقة للإسلام بالسياسة، وأن الإسلام والسياسة مفصولان عن بعضهما... كان افضحهم، أراد أن يعيب على أحد علماء الدين، يقولون: إنه سياسي)⁽²⁾، وكان السيد الخميني يدعو إلى تطهير المراكز الدينية من فقهاء السوء ووعاظ السلاطين⁽³⁾، ويقول عنهم: هؤلاء ليسوا بفقهاء... ويجب فضحهم، لأنهم أعداء الإسلام يجب على المجتمع أن ينبذهم ففي نبذهم واحتقارهم نصر للإسلام ولقضية المسلمين)⁽⁴⁾.

2- كان من أهم أسباب الخلاف بين الشاه محمد رضا بهلوي والمرجعية الدينية هو اعترافه بـ(إسرائيل) وتطوير العلاقات معها⁽⁵⁾، ومنذ ذلك الوقت كان موضوع العلاقات الإيرانية الصهيونية من أهم الأمور التي استخدمتها المرجعية الدينية لاسيما السيد روح الله الخميني لإثارة الشعب الإيراني ضد الشاه، في الوقت الذي أخذ الشاه يشن الحملات ضد السيد الخميني متهمًا إياه بالتحالف وتلقي الدعم المادي والمعنوي من الرئيس المصري جمال عبد الناصر⁽⁶⁾.

3- تبني الشاه في إصلاحاته وسياساته الداخلية المنهج الغربي الأوروبي وابتعاده عن الإسلام مما أعطى انطباعًا بأن إيران تشهد صراعًا حضاريًا بين الحضارة الغربية ممثلة بالشاه محمد رضا بهلوي، والحضارة الإسلامية ممثلة بالمرجعية الدينية.

في الثامن من تشرين الأول عام 1962 م، أعلنت حكومة أسد الله علم⁽⁷⁾، أنها صادقت على اللائحة الجديدة لانتخاب مجالس الولايات، وقد نشرت الصحافة نصها، وحذف بمقتضاها من الدستور كون المرشح والناخب مسلمًا شرطًا، وأستعيض عن القسم بالقرآن بالقسم بأي كتاب سماوي آخر⁽⁸⁾، كما منحت المرأة حق الانتخاب والترشيح في المجالس المحلية⁽⁹⁾، وأخرجت الحكومة هذه التعديلات دفعة واحدة، فإذا عارض قرار القسم على القرآن الكريم - وهو ما كان متوقعًا من الفقهاء - فإن رفضهم سيقدم للجماهير باعتباره معارضة لخطوة ترشيح النساء وإعطائهن حق التصويت، ويشهر بهم جراء ذلك، ثم يطبق القانونان معًا وقد استهدف الشاه من هذا التغيير عدة أمور منها⁽¹⁰⁾:

أولاً: ممارسة ضغط على المرجعية الدينية ورموزها لعزلهم وإضعاف قوتهم لئلا تكون الحكومة مجبرة على التحفظ حيال العلماء والمراجع، وقد وجدت الحكومة الوقت مناسبًا لذلك.

- (7) الكوثر، مجموعة خطابات الإمام الخميني، الجزء الأول، مؤسسة نشر تراث الإمام الخميني، طهران، 1996م، ص 400.
- (8) روح الله الخميني: كشف الأسرار، دار مكتبة الرسول، بيروت، 1992م، ص 222.
- (9) محمد باقر الناصري: من معالم الفكر السياسي في الإسلام، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1988م، ص 272.
- (10) روح الله الخميني: الحكومة الإسلامية، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، طهران، 1996، ص 139.
- (1) للمزيد عن العلاقات بين الكيان الصهيوني والشاه محمد رضا بهلوي. ينظر: علي أكبر ولايتي: إيران وتطورات القضية الفلسطينية، ترجمة: عبد الرحمن العلوي: دار الهادي، بيروت، 2006م؛ عادل محمد حسين العليان: التغلغل الصهيوني في إيران، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2003م؛ جاسم إبراهيم الحياتي: التغلغل الإسرائيلي في إيران وأثره في الأمن الوطني العراقي (1950-1967م)، دار الأوائل، دمشق، 2006م.
- (2) أحد قادة ثورة 23 تموز 1952، ولد في (15 كانون الثاني 1918م) في مدينة أسيوط في الإسكندرية، كان أبوه من طبقة الفلاحين، تخرج من الكلية العسكرية وأصبح أستاذًا في المدرسة الحربية سنة 1943م، من أهم قادة ثورة 23 تموز في مصر، تسلم رئاسة الوزراء بعد تنحية محمد نجيب، عزل الملك فاروق وأعلن الجمهورية، أعلن الوحدة مع سوريا وصار رئيسًا للجمهورية العربية المتحدة (1958-1961م) اشتهر بعدائه للاستعمار والصهيونية، وحروبه المتواصلة مع الكيان الصهيوني، من مؤسسي حركة عدم الانحياز، ودعم حركات التحرر من الاستعمار في الوطن العربي والعالم الثالث وتبنى القومية العربية، توفي في (28 أيلول 1970م). ينظر: أمين هويدي: حروب عبد الناصر، بيروت، 1977م؛ سليمان الحكيم: حوارات عن عبد الناصر، بيروت، 1994م؛ عزيز السيد جاسم: مقتل جمال عبد الناصر، ط2، دار آفاق، النجف الأشرف، 1985م؛ طارق البشري: الحركة السياسية في مصر، القاهرة، 1972م، ص 7-10.
- (3) أسد الله علم (1919-1978)، أكمل دراسته في كلية الزراعة بجامعة طهران، تولى عدة مناصب إدارية ووزارية، فكان حاكمًا لبلوخستان، وتولى وزارات الداخلية والزراعة والعمل، وتولى رئاسة الوزراء للمدة (1962-1964م)، ثم تولى منصب وزير البلاط الملكي قبل الإطاحة بنظام الشاه باقر عاقل: المصدر السابق، جلد سوم، 1022-1028؛ مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج4، دار رواد النهضة، بيروت، 1995، ص 221.
- (4) مجموعة مؤلفين: قراءات في السيرة والمسيرة، ترجمة: مجموعة مترجمين، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، 2010، ص 145؛ علي البغدادي وآخرون: قراءات في فكر الإمام الخميني، ج1، المركز الثقافي للدراسات الإسلامية، بغداد، 2010م، ص 40.
- (5) الثورة الإسلامية في إيران: دروس في التجربة (سلسلة محاضرات أقيمت في المعهد العالي للفكر الإسلامي) واشنطن، 1991، ص 9.
- (6) عماد الدين باقى: بررسي انقلاب ایران، نشر تفكر، تهران، جلد اول، 1370 هـ.

ثانياً: فتح الباب على مصراعيه للأحزاب والمجموعات غير المعتمدة بالإسلام (كالزراشتية⁽¹⁾ واليهودية والمسيحية) التي تمسك عملياً بزماء الأمور في البلاد لممارسة دورها بشكل علني وتحت غطاء القانون. ثالثاً: إلقاء تبعه حرمان المرأة وتخلفها على الإسلام والدستور السابق من خلال إعطائها حق التصويت والترشيح وبعض الحريات الشكلية.

رابعاً: القضاء على آخر عقبة في طريق التبعية الكاملة للغرب.

رفضت المرجعية الدينية منذ البداية المشروع وقبل وفاة السيد حسين البروجردي استفتاءه الشاه في بعض بنود الثورة البيضاء مثل رأي الإسلام في منح المرأة حق التصويت، كان رد البروجردي: (اخبرني يا جلالة الملك، الا يزال حق التصويت قائماً في هذه المملكة)⁽²⁾؛ وفي 8 تشرين الأول عام 1962 عقد في منزل آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري⁽³⁾، في قم، أول اجتماع ضم عدد من كبار العلماء، أوضح السيد الخميني طبيعة نظام الشاه ومخططاته المعادية للأمة، ومسايعه لحماية المصالح الاستعمارية في إيران، والتي تؤدي في النهاية إلى القضاء على الإسلام والأمة الإسلامية، وذكر السيد الخميني بمسؤولية الإسلام واستقلال الدول الإسلامية، وحذر من إن التهاون في الواجب سيحملهم مسؤولية كبرى أمام الله عز وجل وأمام النبي الأكرم(ص)⁽⁴⁾.

انتهى الاجتماع بالاتفاق على عدة أمور، منها، أن يبرق كل من العلماء برقية إلى الشاه يطالبه فيها بإلغاء هذا القانون، والاتصال بالعلماء في طهران وباقي المدن وتحذيرهم من أبعاد هذا القانون ونتائجه، ودعوتهم إلى النهوض لمواجهته، كما قرروا عقد اجتماعات أسبوعية لتوحيد جهودهم وتنسيق وجهات نظرهم في عملية المواجهة⁽⁵⁾.

كما وقف عدد من الفقهاء في العمل السياسي ضد توجهات الشاه محمد رضا بهلوي الإصلاحية، وكان من أبرزهم السيد محمود الطالقاني مما أدى إلى سجنه مرات عديدة وقد استفاد من ذلك ليتعرف على خبرات العمل السياسي عند عدد من الجماعات المعارضة الإيرانية لاسيما مجاهدي خلق، إذ أتاحت له سنوات السجن الطويلة وساعات المناقشات المطولة معرفة الإمكانات التي تتمتع بها الجماعات المعارضة والشباب المنتمي إليها، وأمن بضرورة التعاون مع كافة التيارات من خارج المرجعية الدينية، وعدم إقصاء أي طرف في عملية التغيير السياسي المأمولة في إيران، لذلك عمل على التنسيق مع هذه الجماعات في السنوات الأخيرة لنظام الشاه⁽⁶⁾.

عارض السيد محمود الطالقاني توجهات الشاه محمد رضا بهلوي السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ورأى أن الأمة يجب أن تقدم النصيحة للحاكم إذا كانت هناك حاجة لها، ولكن إذا لم يستجيب الحاكم عندها يصح الجهاد ضد الاستبداد، وحدد شرطاً أساسياً لصحة الجهاد، لكي لا تكون المضار المرتبطة به أكثر من المنفعة المرتبطة بمقاومة الحاكم الظالم، هذا الشرط هو ضرورة توافر سلطة عادلة لإعلانها حتى لا تتحول الأمور إلى فوضى⁽⁷⁾.

مثل رأي السيد محمود الطالقاني المرجعية الدينية التي ربطت إمكانية الحركة السياسية بضرورة وجود السلطة العادلة⁽⁸⁾.

(7) فرقة دينية في بلاد فارس أتبعته رجلاً ادعوا نبوته يقال له زرادشت (630-583 ق م) كانوا يقصدون النار فعرفهم المسلمين بالمجوس، ينظر عبد المنعم ألحفي: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية، ط2، القاهرة، 1999م، ص 385.

(8) نقلاً عن: فهمي هويدي: المصدر السابق، ص 26.

(9) الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي الزعيم الديني المطلق والمؤسس الأول للحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة، هاجر إلى العراق لطلب العلم فسكن سامراء وتلمذ على السيد محمد حسن الشيرازي والميرزا محمد تقى الحائري ثم هاجر إلى النجف و لازم درس الشيخ محمد كاظم الخراساني وأصبح من أفضل طلابه، هاجر إلى كربلاء وعمل بالبحث والتدريس، عاد إلى إيران وتصدى للتقليد والمرجعية، ذهب إلى قم المقدسة وطلب من علمائها إحياء حوزتها، فعمل على تنظيم الدراسات والحوزات، توفي في 13 ذي القعدة 1355هـ/1936م. ينظر محمد هادي الأميني: معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، ط2، النجف الأشرف، 1992م، مجلد 3، ص ص 1365-1366؛ محسن الأمين: أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، ج8، دار المعارف، بيروت، 2006، ص 80.

(1) حميد روحاني: تحليلي از نهضت امام خميني، قم، 1358ش، جلد أول، ص 149.

(2) جلال الدين المدني: المصدر السابق، ص 27.

(3) وليد عبد الناصر: إيران قصة صعود وهبوط التيار الإسلامي التقدمي في إيران 1965-1981م، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1993م، ص 50.

(4) وليد محمود عبد الناصر: إيران دراسة عن الثورة والدولة، دار الشروق، القاهرة، 1997م، ص 45.

(5) أمل حمادة: الخبرة الإيرانية في الانتقال من الثورة إلى الدولة، الشركة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2008م، ص 100.

قام العلماء ومراجع الدين⁽¹⁾ بتحرير الرسائل والبرقيات المفتوحة المعارضة والمنددة بقانون الانتخابات التي عدوها مخالفة للشرعية الإسلامية، وبعثوا بها إلى الشاه محمد رضا بهلوي ورئيس الوزراء (أسد الله علم)، وقد أثارت تلك الرسائل والبرقيات موجة كبيرة من الدعم والتأييد لدى طبقات الشعب المختلفة، وتميزت الرسالة التي بعثها السيد الخميني إلى الشاه ورئيس الوزراء، باللهجة الحادة والحازمة والمحدرة، إذ قال: (إني أنصحكم مجدداً بأن تطيعوا الله تعالى وتتصاعوا للدستور، وأن تحذروا العواقب الوخيمة لمخالفكم للقرآن وأحكام القرآن وأحكام العلماء الأعلام وزعماء المسلمين وانتهاك الدستور، فلا تعرضوا البلاد عمداً وبلا مبرر للخطر، وإلا فإن علماء الإسلام سيقولون رأيهم فيكم)⁽²⁾.

أبرق آية الله السيد محسن الحكيم⁽³⁾ وآية الله السيد أبو القاسم الخوئي⁽⁴⁾، إلى آية الله السيد علي الموسوي البهبهاني⁽⁵⁾ يطالبانه بمخاطبة الشاه والحكومة لإلغاء هذا القانون، وانظم إليهم الكثير من المراجع لاسيما في إيران، بمطالبة الحكومة عبر برقياتهم بإلغاء القانون، وصلت عمليات الاحتجاج إلى المساجد والأوساط العامة، إذ قام علماء طهران بعقد الاجتماعات لبحثها فيها كيفية التحرك، وأخذ الخطباء يعقدون الاجتماعات لبحث الأمر، وأخذت فئات الشعب تتصل بالعلماء بما يمليه عليها وإجها الشرعي، وبعد مدة قصيرة تعدى الأمر حدود العلماء والبازار (السوق الرئيسية في طهران) ليشمل الجامعة والمدارس، وعمت موجة السخط كل فئات الشعب، وبدأت رسائل وعرائض الاحتجاج الشعبي والدعم لموقف العلماء تصل إلى القصر الملكي ورئاسة الوزراء والمراجع، وبدأ الخطباء بمناقشة الموضوع في الأوساط والاجتماعات العامة، وقراءة البرقيات والنداءات الصادرة بشأن القانون من على المنابر⁽⁶⁾.

بادر رئيس الوزراء أسد الله علم بادئ الأمر إلى التهديد وتكثيف الإعلام المعادي ضد المرجعية الدينية ورموزها، وصرح بالقول: (إن الحكومة لن تتراجع عن تنفيذ مشروعها الذي بدأته)، وأدى ذلك إلى تصاعد الحركة الشعبية، فعملت الأسواق في طهران وقم وبعض المدن الأخرى، وأخذ الناس يتجمعون في المساجد للتعبير عن تأييدهم لحركة العلماء، لم يمضي أكثر من شهر ونصف حتى تراجعت الحكومة عن تنفيذ مشروعها، وبعث كل من الشاه ورئيس الوزراء برسائل إلى العلماء هادفين التودد إليهم وكسب رضاهم، غير إنهما امتنعا عن مخاطبة السيد الخميني لما عرفاه عنه من قوة الشخصية وثباتها⁽⁷⁾.

(6) من أبرز العلماء الذين بعثوا البرقيات إلى الشاه ورئيس وزرائه: السيد محمد كاظم الحسيني الشريعت مداري، والسيد علي الموسوي البهبهاني، السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، السيد مرتضى الحائري، السيد صادق الروحاني، السيد محمد رضا الكليكاني، السيد أحمد الموسوي الخونساري، الميرزا علي الفلسفي. للمزيد عن موقف علماء الدين من قانون الانتخابات ينظر: علي دواني: نهضت دوماه علمي إيران، قم، 1962؛ رسول جعفريان: المصدر السابق، ص 295-323.

(7) روح الله الخميني: شجب صمت الحكومة إزاء الاستكبار الشعبي حول تعديل لائحة المجالس المحلية، قم المقدسة، بتاريخ 13 جمادى الثانية 1382هـ/ 11 تشرين الثاني 1962م، ص 6.

(8) السيد محسن ابن السيد مهدي ابن السيد صالح (1888-1970م) كانت له الزعامة الدينية العامة والمرجعية الروحية المطلقة والرئاسة العلمية للمذهب الجعفري. ينظر: محمد الشيخ هادي الأسدي: الإمام الحكيم عرض تاريخي لدوره السياسي والثقافي، جزآن، مؤسسة آفاق للدراسات والأبحاث العراقية، بغداد، 2008م؛ رزاق مخور داود: من عظماء العصر الحديث (الحكيم و الخوئي)، دار الأندلس، النجف الأشرف، 2003م؛ محمد حسين علي الصغير: أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف، مؤسسة البلاغ، بيروت، 2003م.

(4) أبو القاسم بن علي الأكبر بن المير هاشم الموسوي، ولد في مدينة خوي من بلاد أذربيجان، سنة 1317هـ/ 1899م، انتقل إلى النجف سنة 1330هـ/ 1912م، أصبح زعيماً للمرجعية الدينية في النجف الأشرف بعد وفاة السيد محسن الحكيم عام 1970م، واستمر حتى وفاته في 2 آب 1992م. ينظر: أحمد الواسطي: سيرة وحياة الإمام الخوئي، دار الهادي، بيروت، 1998م؛ عبد الحسن الأمين وطراد حمادة: الإمام أبو القاسم الخوئي زعيم الحوزة العلمية، مؤسسة الخوئي، لندن، 2004م؛ هاشم فياض الحسيني: لمحات من حياة الإمام المجدد السيد الخوئي، الدار الإسلامية، بيروت، 1996م؛ محمد إسحاق الفيض: نبذة مختصرة من الحياة العلمية المزدهرة للسيد الخوئي، مؤسسة النجف الأشرف، النجف الأشرف، 2004م.

(1) ولد في مدينة بهبهان في بلاد فارس عام 1303هـ، تلقى علومه وانتقل بعدها إلى النجف ودرس على عدة علماء من أبرزهم الأخوند الخراساني والسيد محمد كاظم اليزدي حتى نال الاجتهاد، كان كثير السفر بين الحوزات العلمية في المدن المقدسة في العراق وإيران لغرض التدريس، تخرج على يديه عدد كبير من المجتهدين، وأصبح من مراجع الدين الكبار في المذهب الجعفري، قام بتشديد عدد من الجوامع والمدارس والمراكز الصحية، وله عدد كبير من المؤلفات، له مواقف معارضة لحكومة الشاه في إيران، توفي في 18 ذي القعدة 1395هـ/ 1975م. ينظر: رسول جعفريان: المصدر السابق، ص 319-323. محمد هادي الأميني: معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، المجلد الأول، ط2، النجف الأشرف، 1992، ص 273.

(2) جلال الدين المدني، المصدر السابق، ص 28.

(3) حميد الأنصاري: المصدر السابق، ص 62_63.

عندما رأت السلطة أن التهديد والقمع والتخويف لن يثني العلماء عن جهادهم، وبعد أن حددت مركز المعارضة ومصدرها، وأدركت أن السيد روح الله الموسوي الخميني مجاهد صلب غطت آراؤه وأفكاره على الآخرين، وأنه هو من يقود حركة الاحتجاج⁽¹⁾، لذا بدأت السلطة تفكر في تفريق صفوف العلماء وبث الفرقة بينهم، إذ أخذت بالإطراء على باقي العلماء واحترامهم وإرضائهم دون السيد الخميني، فأبرق رئيس الوزراء علم فجأة إلى ثلاثة من المراجع⁽²⁾، وهم كل من: آية الله العظمى السيد محمد كاظم الحسيني الشريعتمداري⁽³⁾، وآية الله العظمى السيد علي الموسوي البهبهاني، وآية الله العظمى السيد احمد الموسوي الخونساري⁽⁴⁾ وقسم الموضوع إلى ثلاثة أقسام، وقال: (إن الحكومة تؤيد رأي العلماء في وجوب كون الناخبين والمرشحين مسلمين، كما إن القسم يجب أن يكون بالقرآن الكريم، أما عن اشتراك النساء في الانتخابات فأن الحكومة ستقوم بنقل رأي السادة العلماء إلى مجلس الشورى الوطني الإيراني وهو الذي سيتخذ القرار اللازم بشأنه)، لم تستطع برقية أسد الله علم إقناع علماء قم، فبادروا إلى عقد اجتماع بحثوا فيه أبعاد القضية، ورفضوا اعتبار الموضوع منتهيا، وعدوا هذه الخطوة من جانبه خدعة ليس إلا، وأوضحوا أن القانون الذي صودق عليه لا يلغى بتصريح متردد لرئيس الحكومة، ثم انه أحال الموضوع إلى المجلس الذي لم يكن له وجود آنذاك، بادر السيد الخميني إلى فضح دسائس الحكومة، وحذر العلماء من خطورة هذه اللعبة التي يمارسها النظام، ودعا الجميع إلى مواصلة الجهاد والمواجهة، فأعلن السيد الخميني أمام جموع من زواره عن مواصلة الجهاد، وبذل جهودا لثني اللذين كانوا يفكرون بإنهاء القضية، فأبرق علماء قم المقدسة إلى أسد الله علم معلنين أن برقيته غير كافية لإقناعهم، كما أوضحوا في البرقية احتجاجاتهم وانتقاداتهم بكل صراحة ثم طالبوا بإلغاء القانون⁽⁵⁾، وأوضح السيد الخميني تفاصيل الموضوع فأوجب مواصلة التصدي وقال: (يجب أن نقول للسيد رئيس الوزراء إنه ليس بإمكان أي مجلس أو مسؤول إصدار قانون مخالف للشريعة الإسلامية والمذهب الجعفري، ارجعوا إلى المادة من ملحق الدستور⁽⁶⁾، فشعبنا وعلمائنا واعون والحمد لله، وسيقطعون كل يد تحاول خيانة الإسلام وشرف المسلمين، والله غالب على أمره)⁽⁷⁾.

كان رفض العلماء لبرقية أسد الله علم، وطرح السيد الخميني لقضايا جديدة وتوسيع نطاق الاجتماعات العامة وتزايد المحاضرات التي يلقيها الخطيب الشيخ علي الفلسفي⁽⁸⁾ في مسجد أرك، كل ذلك لم يخرج الحكومة والصحافة من حالة الصمت التي ألتزمتها، وهذا ما اعتبر تجاهلا من قبل الحكومة للمؤسسة الدينية والإسلام عموما، فالحكومة كانت تتوقع إن تجاهلها لتحركات السيد الخميني سيكسبها دعم الغالبية من العلماء، لكن النتيجة كانت على العكس تماما، فحتى العلماء الذين كانوا إلى ذلك الوقت يلتزمون الصمت وعدم التدخل في السياسة، أو الذين كانوا يدافعون عن سياسة الحكومة، نزّلوا إلى الساحة ضد الشاه وحكومته. وبناء على ذلك دعا جماعة من العلماء لإقامة مجلس دعاء في مسجد السيد عزيز الله في

(4) علي البغدادي وآخرون: المصدر السابق، ص 40.

(5) جلال الدين المدني: المصدر السابق، ص 50.

(6) السيد محمد كاظم شريعتمداري (1905-1986م) تولى المرجعية في إيران عام 1961، بعد وفاة السيد حسين البروجردى، رجع إليه في التقليد عدد كبير من الشيعة في العراق وإيران ولبنان وباكستان والهند ودول الخليج، كانت له مواقف سياسية ودينية كبيرة في العراق وإيران، من أهمها اشتراكه مع عدد من الفقهاء بإصدار شهادة اجتهد السيد الخميني مما أدى إلى تخليصه من الإعدام وإطلاق سراحه، بعد انتصار الثورة الإسلامية سنة 1979، عارض فكرة ولاية الفقيه مما أدى إلى العداء مع الحكومة الإسلامية، وبقي الحال كذلك حتى وفاته عام 1986. ينظر: اصغر حيدري: آيت الله شريعتمداري به روایت اسناد، مركز اسناد انقلابي، تهران، 1388هـ؛ محمد الغروي: مع علماء النجف الأشرف، مجلد 2، دار الثقليين، بيروت، 1999م، ص 570-571.

(7) احمد بن السيد يوسف الموسوي الخونساري، ولد في محرم 1309هـ، في مدينة خونسار في إيران، هاجر إلى النجف ودرس على عدة علماء أبرزهم شيخ الشريعة الأصفهاني والسيد محمد كاظم اليزدي والشيخ محمد كاظم الخراساني والميرزا محمد حسين النائيني، عاد إلى قم وأصبح من مراجع الدين الكبار، توفي في ربيع الثاني 1405هـ. ينظر: محمد هادي الأميني، المصدر السابق، ص 545.

(8) جلال الدين المدني: المصدر السابق، ص 33.

(1) وضحت المادتان 91 و 92، الشروط الواجب توفرها في الناخبين والمرشحين لمجالس الولايات وكالاتي: 1- أن يكون مسلما وليس لديه انحراف عقائدي، 2- أن يكون القسم بالقرآن الكريم، 3- لا يحق للنساء الترشيح أو انتخاب احد المرشحين. ينظر: جلال الدين المدني: المصدر السابق، ص 25.

(2) روح الله الخميني: إجراءات الحكومة الشكلية حول إلغاء لائحة المجالس المحلية، قم المقدسة، بتاريخ 3 رجب 1382هـ/ 30 تشرين الثاني 1962م، ص 2-1؛ حميد روحاني: المصدر السابق، جلد اول، ص 168.

(3) ولد في طهران عام 1300هـ، هاجر إلى النجف لإكمال دراسته ودرس عند السيد أبو الحسن الأصفهاني والسيد أبو القاسم الخوئي الذي منحه الاجتهاد بخط يده، كان من اشد المعارضين لنظام الشاه محمد رضا بهلوي، عندما انتصرت الثورة الإسلامية أصبح إلى جانب عدد من العلماء ممثلا لسكان خراسان في مجلس خبراء الدستور، توفي عام 1384هـ. الشبكة الولية للانترنت Ar.shafaqna.com.

طهران صباح يوم الخميس (الأول من رجب)-إتباعاً لسنة النبي (ص)-أدت إلى موجة عارمة عمت كل أرجاء طهران، والحكومة التي عملت على بث الفرقة والخلاف بين أوساط العلماء والمرجعية الدينية أصبحت هي سببا في جمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم، وأصبح رأي الجميع على: (أن علم غير مستعد لطاعة الله القادر، ولا الالتزام بالدستور)، وقد صدر بيان من قبل مائتين من علماء طهران بمختلف اتجاهاتهم جاء فيه: (إن حكومة علم تريد التصدي لموجة الاحتجاجات من إيجاد جو من الكبت والإرهاب والتهديد بدلا من أن تقوم بتصحيح أخطائها، وإعادة الاستقرار لأوضاع البلاد، وتوفير العمل لآلاف الشباب الخريجين عاطلين، والالتفات إلى وضع اقتصاد الشعب الذي يبرز تحت نير الهيمنة، ومعالجة آلاف الآلام والمصائب الاجتماعية الأخرى)⁽¹⁾.

وتأييدا لمراجع الدين انطلقت المسيرات الشعبية الحاشدة في مدن قم و طهران وسائر المدن الأخرى، مما اضطر الشاه إلى إلغاء اللائحة والتراجع عن موقفه⁽²⁾، إذ بعثت حكومة أسد الله علم ببرقيات ورسائل إلى علماء الدين في 28 تشرين الثاني 1962م، تعلمهم بها بإلغاء الحكومة لقانون الانتخابات، وأدى ذلك إلى إقناع بعض رموز المرجعية الدينية بانتفاء المشكلة، وإنهاء التحركات السياسية والشعبية ضد الحكومة، وأخذ الناس يقيمون الاحتفالات، وبعث بعض العلماء برقيات شكر إلى الحكومة، ولكن السيد روح الله الموسوي الخميني عارض بشدة، لاعتقاده بأن على الحكومة أن تبادر لإلغاء لائحة مجالس الأقاليم والمدن بشكل رسمي وعلني.

اتجهت جموع شعبية كبيرة في يوم الجمعة 30 تشرين الثاني 1962م من طهران وباقي المدن الإيرانية للقاء السيد الخميني في منزله، وتحدث إلى الجماهير قائلا: (رغم أن مضمون البرقية التي أرسلت إلى علماء قم يعتبر مقنعا، إلا أننا لا نستطيع ترتيب أي اثر على ذلك ما لم يتم إلغاء القانون رسميا ومن خلال الصحف، ولتعلم الزمرة الحاكمة انه ما لم يتم ذلك فأنا لا نغير أهمية للإلغاء غير الرسمي وسنواصل جهادنا)⁽³⁾.

عقد أسد الله علم مؤتمرا صحفيا في 1 كانون الأول 1962م قال فيه: (أن الحكومة قررت عدم تنفيذ قانون انتخاب مجالس الولايات، وأن الحكومة تعرب عن شكرها للسادة العلماء الذين بذلوا جهودا حثيثة لإقرار الأمن، وقاموا- بإصدار البيانات- بسد الطريق أمام المخربين المنتهزين للفرص)⁽⁴⁾.

حقق السيد الخميني هدفه كاملا في إلغاء قانون انتخابات مجالس الولايات، وأصدر بيانا قال فيه: (...إن نهضتكم الدينية الشاملة أصبحت عبءا للأجانب، لكنني أرى من الضروري التذكير هنا بأن على المسلمين التزام الحذر، والتحلي باليقظة والوعي، ومراقبة أوضاعهم، والمحافظة على مصالح الإسلام، أن عليهم أن يرصوا صفوفهم أكثر فأكثر ليتمكنوا من قطع أية يد قذرة تمتد إلى مقدساتهم...)⁽⁵⁾.

الثورة البيضاء

طرح الشاه محمد رضا بهلوي في 9 كانون الثاني 1962م مشروعه الذي اسماه (الثورة البيضاء)⁽⁶⁾ وقال فيه: (المبادئ التي اعرضها على الرأي العام باعتباري ملكا للبلاد ورئيسا للسلطات الثلاث من اجل مصادقة الشعب عليها مباشرة ودون أية واسطة)، وهي كالآتي⁽⁷⁾:

1-إلغاء نظام الإقطاع والمصادقة على بنود الإصلاح الزراعي على أساس لائحة تعديل قانون الإصلاح الزراعي التي صدق عليها في وقت سابق.

2-المصادقة على لائحة قانون تأميم الغابات في أنحاء البلاد.

(4) نقلا عن: جلال الدين المدني: المصدر السابق، ص 34.

(5) مؤسسة الغري للمعارف الإسلامية: علماء قيايين، آية الله العظمى الإمام الخميني (قدس سره)، النجف الأشرف، 2010م، ص 17.

(6) نقلا عن: جلال الدين المدني: المصدر السابق، ص 36.

(7) نقلا عن: صحيفة كيهان الصادرة في 1 كانون الأول 1962م.

(8) نقلا عن: جلال الدين المدني: المصدر السابق، ص 37.

(1) نعيم قاسم: الإمام الخميني الأصالة والتجديد، دار المحجة البيضاء، بيروت، 2012م، ص 150.

(2) سهراب اصلاحي: بزوهشي در تحولات سياسي معاصر ايران، دانشگاه امام حسين(ع)، تهران، 1386 هـ، ص 120.

3- تحويل المؤسسة العامة للدولة إلى جمعيات تعاونية يجب أن تحول فائدتها لتضمن إجراء الإصلاح الزراعي.

4- لائحة تعديل قانون الانتخابات.

5- إشراك العمال في الأرباح التي تحققها المؤسسات والمصانع التي يعملون بها.

6- لائحة قانون تشكيل (جيش العلم) بهدف تنفيذ التعليم الإلزامي العام.

صاحب إعلان تلك المبادئ حملة إعلامية واسعة، وعمد علماء الدين-وقبل اتخاذ أي موقف- إلى التحقق من مغزى اللوائح الست التي قدمها الشاه، ولهذا فقد مثل العلماء في مقابلة الشاه ومحاورته حول موضوع البنود الستة آية الله روح الله كمال وند - وهو من علماء مدينة خرم آباد - أجمع السيد كمال وند في بداية تحركه بعلماء مدينة قم المقدسة واستطلع آرائهم فيما يجب اتخاذه تجاه سياسة الشاه⁽¹⁾.

اجتمع السيد كمال وند بالشاه محمد رضا بهلوي، وأبلغه معارضة علماء الدين في مدينة قم المقدسة لما يسمى بالإصلاحات والتي هي مخالفة للإسلام، لكن الشاه كان يعتبر أن بقاءه مرهونا بعملية الاستفتاء (لأنها كانت تتماشى مع سياسة الولايات المتحدة الأمريكية التي فرضتها على الكثير من الأنظمة التي كانت تسير في ركاب السياسة الأميركية، كما إن الشاه لم يتوقع ظهور شخصية علمانية تقود المرجعية الدينية للوقوف بوجه سياستها)، ولهذا فقد ابلى الشاه آية الله كمال وند: (أن هذه المواد يجب أن تطبق، وإن لم أطبق هذه المواد فسأنتهي، وسيستلم السلطة أناس لا يؤمنون بكم ولا بنهجكم، بل سيهدمون هذه المساجد على رؤوسكم ويقضون عليكم... إذا وافق العلماء الدين على برنامجي الإصلاحي هذا ولم يضعوا العقبات في طريقه، فأنا أعدهم بأنني ألبى أي طلب أو حاجة لهم فيما يخص الحوزة. ثم شكى الشاه من علماء الشيعة وقال: عليهم أن يتعلموا حب الملك من علماء السنة الذين يدعون لملوكتهم بعد كل صلاة، لكن ما لذي يفعله علماؤنا؟!، فرد كمال وند على كلام الشاه بقوله: إن علماء السنة هم موظفون لدى الحكومة، ودعائهم لرؤسائهم وملوكهم هو جزء من واجباتهم الإدارية، أما علماء الشيعة فلم يكونوا يوما موظفين لدى الحكومة أبدا، كما قال كمال وند للشاه: إن الاستفتاء لم يرد ذكره في الدستور، وحكومة مصدق حوريت بسبب إجراء الاستفتاء. لكن الشاه ظل يسوغ ذلك مدعيا بأنه سيقوم بعملية (مصادقة شعبية) وليس استفتاء، وقد سارعت الصحف إلى استخدام مصطلح (مصادقة شعبية) بدل الاستفتاء⁽²⁾.

أعلن رجال الدين معارضتهم لللائحة وأكدوا عدم شرعية الاستفتاء ودعوا الشعب الإيراني إلى مقاطعته، وشهدت مدن طهران و تبريز ومشهد وقم وغيرها مظاهرات نظمها رجال الدين وأغلق البازار أبوابه احتجاجا على الاستفتاء، وكانت اشد المدن مخالفة لسياسة الشاه مدينة قم المقدسة⁽³⁾.

كان السيد روح الله الموسوي الخميني من أشد المعارضين لعملية الاستفتاء وأكثرهم تأثيرا على الجماهير، وقد أوضح رأيه عندما رد على استفتاء جمع من المؤمنين⁽⁴⁾، إذ جاء جوابه: (في رأيي أن الاستفتاء الذي سمي بالمصادقة الشعبية، تماشيا مع بعض الإشكاليات؛ هو أمر مخالف لرأي علماء الدين والغالبية العظمى من الشعب... إن العلماء يشعرون الخطر يدهم القرآن والدين، ويبدو أن هذا الاستفتاء الإلزامي سيكون مقدمة للقضاء على المبادئ المتعلقة بالدين، لقد أحسوا أن في قانون انتخابات مجالس الولايات خطرا على الإسلام والقرآن والبلاد، ويبدو أن الأعداء جاءوا بنفس مضمون ذلك القانون في شكل آخر، لينفذوه على أيدي مجموعة الناس السذج المغفلين، أن واجب علماء المسلمين أن يحذروا الشعب المسلم من أي خطر يواجه الإسلام والقرآن لئلا يكونوا مسؤولين أمام الله أسأل الله تعالى أن يحفظ القرآن المجيد واستقلال البلاد⁽⁵⁾).

(3) عليرضا ملائي تواني: المصدر السابق، ص 152.

(4) الكوثر، المصدر السابق، ج 1، ص 34؛ محسن بهشتي سرشت: زمانه و زندكي امام خميني، تهران، 1391ش، ص 166-167.

(5) حسن كريم الجاف: موسوعة تاريخ إيران السياسي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2008، ص ص 274-275.

(6) جلال الدين المدني: المصدر السابق، ص 57.

(1) روح الله الخميني: التحذير من عواقب الاستفتاء الشعبي على مشروع الملك، وضرورة تحلي العلماء والشعب باليقظة والمقاومة، قم المقدسة، بتاريخ شعبان 1382هـ/كانون الثاني 1963م، ص 5.

جاء رأي السيد الخميني واضحا وقاطعا، فضلا عن آراء باقي المراجع العلماء، وقد بين ذلك وحدة الموقف للمؤسسة الدينية تجاه الاستفتاء، وانتشر بيان السيد الخميني بتحريم الاستفتاء، فأقفلت المحلات أبوابها، وتحركت جموع من الجماهير باتجاه منزل آية الله الخوانساري وطابت منه الانضمام إلى التظاهرات الشعبية، وتجمع المتظاهرون في شارع أبو ذر جمهري وتقاطع سيروس وسط طهران، وكان في طليعة المتظاهرين عدد كبير من علماء الدين، استقبل آية الله السيد علي الموسوي البهبهاني المتظاهرين وفي مقدمتهم علماء الدين في تقاطع سيروس، توافدت الجماهير على منزله، فخطب في الجماهير آية الله الميرزا علي الفلسفي وأعلن إضرابا لمدة ثلاثة أيام احتجاجا على الاستفتاء غير القانوني، كما قرأ بيان من قبل آية الله الخوانساري، وآية الله السيد علي الموسوي البهبهاني، نص على تحريم الاستفتاء، ودعا إلى تجمع شعبي كبير في مسجد السيد عزيز الله في طهران في نفس اليوم⁽¹⁾.

واجهت تظاهرات الجماهير (عصر ذلك اليوم) واجتماعه في مسجد عزيز الله مضايقات من قبل الشرطة، فتحوّلت التظاهرات إلى صدامات واشتباكات، وتعرض آية الله الخوانساري لهجوم من قبل الشرطة عندما كان في طريقه إلى المسجد، وأجبر على العودة إلى المنزل⁽²⁾، اجتمع علماء طهران عصر يوم 24 كانون الثاني 1963م، لاتخاذ قرار جماعي ضد الاستفتاء، وبينما هم مشغولون بالبحث والمداولة، قامت قوات الأمن بمهاجمة المنزل واعتقال عدد من المجتمعين، كما قامت قوات الجيش في ذلك اليوم بمهاجمة جامعة طهران لقمع تظاهرات الطلبة المناهضة للاستفتاء⁽³⁾.

قرر الشاه محمد رضا بهلوي الذهاب إلى قم ليحسم الموقف مع العلماء، وليصور لباقي المدن أنه لقي استقبالا حارا، وأنه لا صحة للتلاحم ألعلمائي في عملية المعارضة، وبينما كان الناس يواصلون إضرابهم معلنين مقاطعة الاستفتاء، سارع رجال الأمن (السافاك) إلى إقامة أقواس النصر وترتيب الشوارع لاستقبال الشاه، وفي يوم 21 كانون الأول 1963م، قبل وصول الشاه بيوم واحد تظاهر أهالي قم وهتفوا بشعار (نحن أتباع القرآن لا نرضى بالاستفتاء)، ووزعوا فتاوى العلماء وبياناتهم بخصوص تحريم الاستفتاء، ومزقوا صور الشاه، ودمروا قوس النص الذي اعد لاستقبال الشاه، وهتفوا: (ليسقط الاستبداد فالإسلام منتصر)، وردا على ذلك هاجم أفراد الجيش المدرسة الفيزيائية وعدد من المحل المغلقة⁽⁴⁾.

دعا السيد الخميني العلماء في مدينة قم المقدسة إلى عدم الخروج من منازلهم لاستقبال الشاه، كما أصدر فتواه للشعب الإيراني بتحريم ذلك الخروج⁽⁵⁾، وأوضح بأن الهجوم الوحشي لقوات النظام على علماء طهران وأهاليها وتعاملهم السيئ مع أهالي قم والمرجعية الدينية، كل هذه الممارسات لم تبق أي مجال للتفاهم والتفاوض مع الجهاز الحكمي، كما إنها أغلقت أي باب يؤدي للقاء بالشاه، وأصبح ذلك أمرا مستحيلا، إلا أن يقوم الشاه بإعلان مسؤولية السيد أسد الله علم (رئيس الوزراء) الكاملة عما جرى وإقالته من منصبه، وإنهاء عملية الاعتقالات، كخطوة عملية منه للتعويض عن الإهانة والاعتداء اللتين تعرضت لهما حرمة المرجعية الدينية، وإذا ما حصل هذا فسيكون الطريق مفتوحاً أمام لقاء مباشر مع الشاه⁽⁶⁾.

عندما نشرت الصحف الموالية للحكومة إخبارا عن اتفاق بين السلطة وعلماء الدين، رد السيد الخميني قائلا: (نشرت الصحيفة القذرة اطلاعات (انه تم التفاهم مع رجال الدين، وهم يؤيدون ثورة الشاه البيضاء والشعب أيضا يؤيدها) أي ثورة؟، وأي شعب؟ لا صلة لهذه الثورة بالشعب أو رجال الدين، أيها السادة في الجامعات ابلغوا الجميع إن رجال الدين لا يؤيدون هذه الثورة الاسمية، ولو شنقوا الخميني ما تفاهم)⁽⁷⁾.

كان جواب السيد الخميني من القوة لم يفسح مجالا لطرح وجهة نظر أخرى، بل إن باقي المراجع لم يكونوا يردوا على أي استفتاء أو سؤال في هذا الخصوص قبل الإطلاع على رأي السيد الخميني، لأن الموقع القيادي الذي احتله، سلب

(2) جلال الدين المدني: المصدر السابق، ص 59.

(3) المصدر نفسه، ص 59.

(4) الكوثر: المصدر السابق، ج 1، ص 35.

(5) جلال الدين المدني: المصدر السابق، ص 60.

(6) حميد الأنصاري: حديث الانطلاق، المصدر السابق، ص 66.

(7) حميد روحاني: المصدر السابق، ص 254.

(8) نقلا عن: إبراهيم الدسوقي شتا: الثورة الإيرانية الجذور الأيدلوجية، الزهراء للأعلام العربي، القاهرة، 1988، ص 263.

أية جراءة على طرح رأي معارض له، قامت الحكومة بتعبئة كل إمكانات الدولة من أجل الإعداد لاستقبال كبير للشاه في قم، كما تمركزت القوات العسكرية في كل مكان، لكن أحدا من أهالي قم لم يغادر منزله ولم يشارك في الاستقبال⁽¹⁾. عندما علم الشاه بعدم مجيء من العلماء لاستقباله ثارت ثائرتة، ولم يدخل إلى حرم السيد فاطمة المعصومة⁽²⁾ وألقى خطابا قال فيه: (إننا نلاحظ دائما مجموعة من الجهلاء، وتلك الفئة التي لم تتحرك عقولها بعد، تقوم بوضع العراقيل أمامنا، فعقول هؤلاء مازالت متحجرة وستبقى كذلك، أن هذه المرجعية السوداء لا يمكن أن تفهم يوما، فمنذ ألف عام لم تتطور عقولهم... هؤلاء يتخذون من الحكومة المصرية قدوة لهم... عبد الناصر الذي يوجد لديه على الأقل خمسة عشر ألف سجين سياسي هو قدوتهم،... لاحظوا جيدا منطق هؤلاء السادة... إنهم أكثر خيانة من حزب تودة بمائة مرة)⁽³⁾. في يوم السادس والعشرون من كانون الثاني 1963 قامت الشرطة بإلقاء القبض على عدد من قادة الحركة الوطنية، وعدد من تجار البازار، ومجموعة من الطلبة الجامعيين وزج بهم في سجون قزل قلعة والقصر في طهران وبعد يومين أقيم الاستفتاء، وعلى الرغم من أن مراكز الاقتراع كانت خالية من الناس⁽⁴⁾، لكن الحكومة أعلنت إن إقبال الناس على صناديق الاقتراع كان منقطع النظير، وأعلنت نتائج الاستفتاء على أنها (99، 9%) وأن مشروع الاستفتاء حصل على موافقة الشعب⁽⁵⁾.

المبحث الثالث: مرحلة الصدام بين المرجعية الدينية والحكومة الإيرانية

انتفاضة 11 محرم (15 خرداد) 1963م أعلن السيد الخميني الحداد العام في عيد الربيع (النوروز)⁽⁶⁾ عام 1963م، لأن عيد النوروز في ذلك العام يختلف كثيرا عن الأعوام السابقة إذ تشهد بداية كل عام طبقا لعرف إيراني قديم - توافد الناس على الأماكن المقدسة للدعاء إلى الله تعالى بتحسين أحوالهم، ومدينة قم وهي من المدن المقدسة، لأنها تظم مرقد السيدة معصومة(ع)، كانت تشهد توافد الناس عليها للزيارة والدعاء، لكن تجمع الناس في قم ذلك العام كان بمثابة الاستمرار في مواجهة الشاه محمد رضا بهلوي، وإعلان الدعم للمرجعية الدينية، والحصول على التعليمات والتوجيهات منها، ومع اقتراب عيد النوروز أعد السيد الخميني كل مستلزمات توجيه ضربة لممارسات الشاه محمد رضا بهلوي التي كان يعتبرها موجهة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية والصهيونية، فاقترح السيد الخميني على علماء قم تحويل عيد النوروز إلى حداد عام، وانتشر هذا الموضوع في أنحاء البلاد من خلال النداءات والبيانات والرسائل التي بعث بها إلى أرجاء البلاد⁽⁷⁾.

فبعث برسالة إلى العلماء جاء فيها: (انتم تعلمون إن الجهاز الحاكم يبذل كل مساعيه من أجل هدم أحكام الإسلام الأساسية، والقيام بممارسات تنتافي مع تعاليم الإسلام، لهذا فأنا سأكون في خلال عيد النوروز في حداد وتعزية لإمام العصر (عجل الله فرجه الشريف)، وسأقوم بتحذير الناس، لذا فالمرجو من حضرات السادة القيام بنفس هذا العمل لإطلاع الشعب المسلم على المصائب التي حلت بالإسلام والمسلمين...)⁽⁸⁾.

لقي اقتراح السيد الخميني تجاوبا من قبل الشعب، إذ كان اختبارا لمدى وحدته واستجابته للمرجعية الدينية، لأنه يتطلب تحويل الاحتفال بالعيد إلى عزاء وحداد، وتحويل بطاقات التهنية إلى بطاقات تعزية ومواساة في المساجد

- (1) حميد روحاني: المصدر السابق، ص 254.
- (2) السيدة فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى الكاظم(ع) استشهدت مسمومة عندما دس لها المأمون العباسي السم لها. ينظر. محمد الشيرازي: قم المقدسة، مطبعة سبهر، (د.ت)، 1422هـ، ص 92.
- (3) نقلا عن: غلام رضا نجاتي: المصدر السابق، ص 222.
- (4) جلال الدين المدني: المصدر السابق، ص 61.
- (5) صحيفة كيهان الصادرة بتاريخ 1382/ 1/ 28.
- (6) رأس السنة حسب التقويم الفارسي، ويحتفل الشعب الإيراني لمدة (13) يوما تعطل فيه جميع المؤسسات والدوائر الحكومية ويسافر الناس إلى المناطق البعيدة لاسيما الشمال. ينظر. عبد الرحيم الحمراي: المصدر السابق، ص 236.
- (7) احمد حسين يعقوب: الإمام الخميني والثورة الإسلامية في إيران، مطبعة الغدير، بيروت، 2000، ص 115.
- (8) روح الله الخميني: الاستعداد لتحمل الصعوبات والصبر والاستقامة أمام المصائب، قم المقدسة، بتاريخ 25 شوال 1382هـ/ 22 آذار 1963م، ص 1.

والحسينيات، وأقامت العلماء مجالس العزاء بدلا من مجالس الفرح والتهاني في العيد، بينما يقوم الخطباء بلفت أنظار الشعب إلى إن الحكومة تشكل خطرا على الإسلام، فغطى السواد معظم الجدران في الشوارع وأماكن الاجتماعات والمحافل العامة لاسيما في مدينة قم، وعلقت لافتات كتب عليها (لا عيد للمسلمين هذا العام)، كما علق الكثير من العلماء وطلبة العلوم الدينية قطعة قماش سوداء صغيرة على صدورهم تعبيرا عن الحزن والحداد، كما صدرت منشورات وبيانات جماعية وفردية من قبل علماء الدين من مختلف مدن البلاد، ومن أهم هذه المنشورات السياسية منشور عرف بـ (علماء الإسلام لا عيد لهم هذا العام)⁽¹⁾.

لقد ذهل الشاه محمد رضا بهلوي من مواقف الخميني في عيد النوروز، فقرر الرد عليها، ففي عصر يوم 23 آذار 1963م، أقيم مجلس عزاء حضره الآلاف من المسلمين في المدرسة الفيزية بمدينة قم⁽²⁾، في ذكرى استشهاد الإمام جعفر الصادق (ع) هجمت الشرطة على المعزين وأوسعوا الجميع ضربا ونكلوا بهم، ووقع عشرات الطلبة بين قتيل وجريح⁽³⁾، ونهض السيد الخميني بعد ذلك ليقول: (إن النظام كلما تمادى في جرائمه فضح نفسه أكثر، وهذا نصر عظيم للإسلام والمسلمين)⁽⁴⁾.

استغل السيد الخميني الحادثة فأخذ يخطب في الجموع التي أخذت تهرع إلى قم لتبدي تأييدها والتفافها حول السيد الخميني، وردا على هجوم قوات الشاه على المدرسة الفيزية، وفي الأول من شهر محرم أصدر السيد الخميني فتواه بتحريم التقية وأعلنها في بيان أذاعه على علماء الحوزات العلمية والمسلمين في إيران، دعاهم فيه ألا يلوثوا منابرهم بالمهادنة، وأن يجعلوا من تلك المنابر مراكز تقضح الشاه ونظامه⁽⁵⁾، وقال: (أن التقية حرام، وإظهار الحقائق واجب مهما كانت النتيجة، ولا ينبغي على فقهاء المسلمين استعمال التقية في المواقف التي تجب بها التقية على الآخرين، إن التقية تتعلق بالفروع، لكن حينما تكون كرامة الإسلام في خطر، وأصول الدين في خطر، فلا مجال للتقية والمداورة، إن السكوت هذه الأيام تأييد لبطانة الجبار ((الشاه)) ومساعدة لأعداء الإسلام)⁽⁶⁾.

خلال أيام محرم التسعة الأولى توافد مئات الألوف إلى قم ليحضروا يوم العاشر من محرم، وليستمعوا إلى ما يقوله السيد الخميني الذي ألقى خطابا في الحشود الغفيرة بتاريخ 10 محرم 1383هـ/3 حزيران 1963م قال فيه:

(نحن نعيش عصر عاشوراء - إشارة الممارسات الشاه ضد طلاب المدرسة الفيزية - إنني أحذرك أيها الملك من مغبة تلك الأعمال والممارسات والأساليب، وأنا أريد أن يشكر الناس لهم، إذا قرر أسياذك في ((الغرب)) إبعادك عن البلاد، إنني أرى مصيرك كمصير أبيك)، وتساءل السيد الخميني في خطابه (ما هي العلاقة التي تربط الشاه بإسرائيل حتى تحذرنا أجهزة الأمن من انتقادهما؟، هل الشاه هو إسرائيل بنظر أجهزة الأمن؟ هل هو عندهم يهودي وصهيوني)⁽⁷⁾.

وصلت المظاهرات إلى أوج شدتها، اثر الخطاب التاريخي للسيد الخميني في عصر يوم العاشر من محرم، إذا انه أزاح الستار عن حقيقة الأوضاع، وفضح سياسة الشاه، وأضح للجماهير ضعف الملكية، توسع نطاق المظاهرات بشكل كبير في 11 محرم لاسيما في قم وطهران وباقي المدن الإيرانية، التي أعطت لعملية النضال ضد الشاه صبغة أساسية كاملة، وجعلت الشاه وحكمة الملكي هدفا مباشرا لهذا الجهاد، وقد كانت هذه الأوضاع تسير باتجاه معاكس لما استهدفته (الثورة البيضاء)، فالمشروع الأمريكي كان يستهدف تهدئة الأوضاع وتطويع المنطقة للسلطة الغربية على المدى البعيد، لكن

(9) جلال الدين المدني: المصدر السابق، ص 65.

(1) مؤسسة الغري للمعارف الإسلامية: علماء قيايون، النجف الأشرف، 1431هـ، ص 17.

(2) محمد عبد الجليل: المرجعية الشيعية والقضية الفلسطينية، مؤسسة الفكر الإسلامي، هولندا، 2002م، ص 75.

(3) روح الله الخميني: الملك و(إسرائيل) هما أساس معاناة الشعب الإيراني، قم المقدسة، بتاريخ 10 محرم 1383هـ/3 حزيران 1963م، ص 4.

(4) محمد هاشمي تروجني وحيد بصيرت منش: تاريخ معاصر إيران ازديكاه امام خميني، تهران، 1388ش، ص 399.

(5) سجاد ايزدهي: فقه سياسي امام خميني، تهران، 1390ش، ص 125.

(6) روح الله الخميني: الحث على زيارة المدرسة الفيزية ومستشفيات قم للإطلاع عن كذب على عمق جريمة النظام، قم المقدسة، بتاريخ 26

شوال 1382هـ/23 آذار 1963م، ص 1.

الحوادث التي شهدتها البلاد، كانت تشير إلى إن الوضع يسير على عكس ما يريده الأمريكيان، وقد تصور النظام أن العنف هو الطريق الوحيد لتحقيق هذا الغرض⁽¹⁾.

في الساعة الثالثة من بعد منتصف ليل 11 محرم حاصرت القوات الحكومية الخاصة بيت السيد الخميني وتم اعتقاله وإرساله مكبلاً إلى طهران⁽²⁾، وتم إلقاء القبض على السيد محمود الطالقاني الذي اتهم بقيادة الانتفاضة إلى جانب السيد الخميني وأودع السجن لعدة أشهر⁽³⁾، أنتشر خبر اعتقال السيد الخميني بسرعة فائقة في أرجاء إيران، قبل شروق يوم (15 خرداد - 5 حزيران) تجمعت في قم أعداد كبيرة من الأهالي في منزل السيد الخميني⁽⁴⁾، وأغلقت جميع المحلات أبوابها وتجمعت أعداد كبيرة من المواطنين أدى إلى تكوين مظاهرة كبيرة اتجهت إلى صحن مرقد السيدة معصومة (ع)، وقد حاولت الشرطة تفريق الناس بإطلاق التهديدات عبر مكبرات الصوت، لكنهم تركوا الناس بعد أن عجزوا عن ذلك، فحدث تجمع حاشد في الصحن الشريف، وبعد فترة وجيزة التحق بهم جمع كبير من العلماء، بعد أن أصدروا بياناً بهذه المناسبة⁽⁵⁾، وهنقت الحشود المجتمعة هتافات ((أما خميني وأما الموت)) مؤكدين أن اعتقال السيد الخميني يعني معارضة النظام الحاكم للدين، أما نساء قم فقد التحقت بالنهضة وشاركن بشكل فعال في الحشد الجماهيري⁽⁶⁾.

وفي طهران حدثت مظاهرة كبيرة في البازار بعد أن تجمع المواطنون تلبية لدعوة بدعم موقف السيد الخميني⁽⁷⁾، وفي مركز مدينة طهران تظاهرة كبيرة تحت عنوان اعتراض على اعتقال آيت الله خميني، وقامت قوات الأمن باعتقال عدد من المتظاهرين وقتل عدد أكبر منهم⁽⁸⁾، وفي مدينة شيراز خرجت مظاهرات وقامت فرقة قوات الأمن بالتصدي للمتظاهرين مما أدى إلى اعتقال ومقتل عدد كبير من المتظاهرين⁽⁹⁾، وشهدت مدن أصفهان وشهرستان مظاهرات انطلقت من البازار لتعم الشوارع الرئيسية معترضة على اعتقال السيد الخميني وقامت الحكومة بنشر قوات الأمن للسيطرة على الوضع⁽¹⁰⁾، وأصدر مراجع الدين في إيران فتاوى مؤيدة للتظاهر ومتضامنة مع مظاهرات قم ومنددة بالشاه محمد رضا بهلوي، وأوضحوا في بياناتهم إنهم يمثلون المرجعية الدينية بوجه الشاه وسياسته الداخلية⁽¹¹⁾.

لأول مرة هنقت الجماهير في كل مكان (الموت للشاه) فأعطى الشاه أوامره لقمع المتظاهرين فهجمت قوات الجيش والشرطة على المتظاهرين، وقتلت منهم (5000) خمسة آلاف (لاسيما في طهران وشيراز)⁽¹²⁾ حسب تقديرات الحكومة، ثم أخذت الأجهزة الأمنية تعقل المتظاهرين وتزج بهم في السجون⁽¹³⁾، واستولى الثوار من طلبة السيد الخميني على إذاعة قم للمدة (3-5) حزيران 1963م، وقاموا بإذاعة الخطب الحماسية التي كانت تنشر للمواطنين على سياسة الشاه، كما قاموا بتوزيع عشرات الألوف من النشرات المطبوعة المكتوبة بأسلوب ثوري ديني مؤثر موضحاً سلبيات نظام الشاه⁽¹⁴⁾، ونتيجة لتلك الانتفاضة تغيرت نظرة الشعب الإيراني بصورة كاملة إلى الشاه، الذي أخذ يعتبره عدواً للإسلام⁽¹⁵⁾.

شارك السيد محمود الطالقاني السيد الخميني في الانتفاضة، وتجسد في خطبه التي ألقاها في عاشوراء الربط بين أحداث إيران المعاصرة والمواجهة مع نظام الشاه، وبين تعاليم الإمام الحسين (ع)، وطالب أتباعه التضحية بالنفس من خلال

(7) محمد مرتضوي: شناخت انقلاب اسلامي زمنيها ودستورها، انتشارات جواد الأئمة عليه السلام، مشهد، 1376 هـ، ص 209.

(8) عماد الدين باقى: المصدر السابق، ص 165.

(9) محمود عبد الناصر: المصدر السابق، ص 51.

(10) م.أ.أ.أ.، موضوع: خليي خليي فوري، شماره 199، تاريخ 1342/3/15.

(11) م.أ.أ.أ.، موضوع: خليي خليي فوري، شماره 201، تاريخ 42/3/15.

(12) حميد روحاني: المصدر السابق، ص 208.

(1) م.أ.أ.أ.، موضوع: تظاهرات در بازار طهران، شماره 311، تاريخ 42/3/15.

(2) م.أ.أ.أ.، موضوع: كليي ساواكهاى خارج از مركز وخارج از كشور، تاريخ 42/3/15.

(3) م.أ.أ.أ.، موضوع: كليي ساواكهاى خارج از مركز وخارج از كشور، شماره 332/984، تاريخ 42/3/16.

(4) م.أ.أ.أ.، موضوع: وضع اصفهان وشهرستان، شماره 302، تاريخ 42/3/16.

(5) للمزيد ينظر بيان السيد شهاب الدين المرعشي النجفي في 12 محرم 1383 هـ / 15 خرداد 1342 ش؛ بيان السيد احمد الموسوي الخوانساري في 13 محرم 1383 هـ / 16 خرداد 1342 هـ.

(6) تييري كوفيل: المصدر السابق، ص 55.

(7) عميد زنجاني وعباسعلي: المصدر السابق، ص 461.

(8) كمال مظهر احمد: المصدر السابق، ص 189.

(9) جرهارد كونسمان: سطوع نجم الشيعة، ترجمة: محمد أبو رحمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1993، ص 158.

الاستشهاد وعدم الاكتفاء بإلقاء الخطب أو الكتابة أو تقديم الدعم المالي، وعقب خطبته في العاشر من عاشوراء 1963، خرج آلاف المصلين في مظاهرات حاملين أكفانهم كرمز لاستعدادهم للموت في سبيل الإسلام والشعب⁽¹⁾، وأتهم الشاه رئيس جمهورية مصر العربية جمال عبد الناصر بتدبير الانتفاضة⁽²⁾.

لم يكن السيد الخميني قد طرح مرجعيته بعد، وعندما تم اعتقاله بعد أحداث محرم (حزيران) 1963 تسربت إنباء عن حكومة الشاه تتحدث عن احتمال إعدامه، بادر المجتهدون الكبار وعلى رأسهم السيد محمد كاظم شريعة مداري من قم⁽³⁾ والسيد علي الموسوي البهبهاني من طهران إلى الاجتماع وقرروا اعتباره مجتهداً، وأجازوا رسالته العملية (تحرير الوسيلة) وكتبوا استفتاء بذلك لوجود نصا في الدستور الإيراني يمنع من تنفيذ حكم الإعدام بالمجتهدين أو السجن، وأصبح مقر العلماء المعارضين لسياسة الشاه في طهران برئاسة السيد علي الموسوي البهبهاني للعمل على إطلاق سراح السيد الخميني وعندما منعت السلطة من طبع رسالة السيد الخميني لبعض الوقت، أجاز السيد البهبهاني طبعها تحت عنوان (جامع المسائل لآية الله البهبهاني) ويعني ذلك أن العنوان يحمل اسم السيد البهبهاني والمحتوى يعود للسيد الخميني، وأوصى السيد البهبهاني مقلديه بإعطاء الحقوق الشرعية للسيد الخميني⁽⁴⁾، وأصبح استمرار اعتقاله قضية حساسة، كما شهد أولئك العلماء فرادى باجتهاد آية الله الخميني، ولا يعني ذلك إن السيد الخميني لم يكن مجتهداً قبل تلك الاستشهادات، إنما كان يفتقد إلى مثل تلك الوثيقة شأنه في ذلك شأن الكثير من المجتهدين، وهو عرف سائد ومعروف في المرجعية الدينية، إذ يصل الكثير من العلماء إلى تلك المرتبة العلمية ويعترف بهم كمجتهدين من قبل أساتذتهم دون أن يمنحهم الوثيقة التي تثبت ذلك⁽⁵⁾، وأصدر علماء الدين بيان طلبوا بضمان حياة السيد الخميني من الشاه محمد رضا بهلوي، وبينوا أن نهضة السيد الخميني هي حماية للمذهب الجعفري وأن جميع علماء الدين مؤيدون للسيد الخميني ووجهوا الدعوة لقادة العالم الإسلامي بالضغط على حكومة إيران بعدم التعرض لقادة المذهب وحماية أرواح المواطنين⁽⁶⁾.

عندما علم الشاه محمد رضا بهلوي وجهازه الأمني عن طريق فتاوى مراجع الدين في قم وطهران ويزد والأهواز والنجف وغيرها ببيان المراجع الكبار وإعلانهم أن السيد الخميني مجتهد ولا يجوز التعرض له بمقتضى الدستور⁽⁷⁾، أفرج عن السيد الخميني بعد أن قضى مدة شهرين في السجن، وفرضت عليه الإقامة الجبرية في إحدى أحياء طهران، ثم أفرج عنه وأعيد إلى قم بعد أن غاب عنها مدة عشرة أشهر⁽⁸⁾، وبعد عشرة أيام من وصوله إلى قم، ألقى خطبة في مسجدها الأعظم رد فيها على الاتهامات التي نسبها إعلام الشاه إلى العلماء حول تعاونهم مع قوى خارج البلاد، قام أمام مئات الألوف الذين استمعوا له، وعلى مرأى وسماع جيش الشاه وشرطته، وقال مخاطباً الشاه: (هل إذا نصحناك بأن لا تكون عبداً مملوكاً للأجانب تتهمنا بالرجعية، وإذا قلنا لك لا تعقد ميثاقاً مع إسرائيل قلت: إنكم رجعيون... من الرجعيون إذا نحن أم أنت...)⁽⁹⁾. أشاعت الحكومة في الصحف بأن سوء التفاهم مع السيد الخميني قد انتهى، وقد بعث الشاه برسالة مع أحد الضباط إلى السيد الخميني ذكر فيها: (إن الشاه يقرؤك السلام، وأنه يكن لك ما كان يكن للسيد البر وجردى من فائق الحب والاحترام، نهاية ما في الأمر أنه يرجوك بعدم التدخل في السياسة، فرد عليه الخميني قائلاً: إذا كانت هناك من وظيفة شرعية، فليس لي أن اسكت مهما كان الأمر)⁽¹⁰⁾.

(10) وليد محمود عبد الناصر: إيران صعود وهبوط التيار التقدمي الإسلامي، 1965-1981، المصدر السابق، ص 52.

(2) نقلاً عن: حميد الأنصاري: الإمام الخميني من المهد إلى اللحد، المصدر السابق، ص 47.

(3) وهم آية الله العظمى السيد كاظم شريعة مداري، وآية الله السيد المرعشي النجفي، وآية الله العظمى السيد محمد رضا الكليباتي من قم، وآية الله العظمى السيد أحمد الموسوي الخوانساري من طهران. ينظر: مرتضى بسنديه: خاطرات آيت الله بسنديه، تهران، 1386 ش، ص 227؛ صلاح الخراسان: الإمام السيد محمد باقر الصدر في ذاكرة العراق، أضواء على تحرك المرجعية الدينية والحوزة العلمية في النجف الأشرف 1958-1992م، مؤسسة البلاغ، بيروت، 2004م، ص 345؛ رسول جعفريان: المصدر السابق، ص 295-323.

(4) سهراب اصلاحي: المصدر السابق، ص 130.

(5) المصدر نفسه، ص 131.

(6) م.أ.أ.، موضوع: اظهارة سيد جعفر بهبهاني، شماره 870 بخش 312، تاريخ 42/3/18.

(7) م.أ.أ.، موضوع: انتشار شايعة در مورد مرجعيت تقليد، شماره 941 بخش 312، تاريخ 43/3/22.

(8) علي البغدادي وآخرون، المصدر السابق، ص 42.

(9) أحمد حسين يعقوب: المصدر السابق، ص 118.

(10) نقلاً عن: عبد الرحيم الحمراني وآخرون: المصدر السابق، ص 240.

أرسل السيد محسن الحكيم برقية إلى المجتهدين في مدينة قم المقدسة يدعوهم فيها إلى الهجرة إلى النجف الأشرف في حال تحول قم إلى مكان غير آمن، وأعربت الحكومة الإيرانية عن استعدادها لتقديم كافة التسهيلات الممكنة لمن يقرر الرحيل، فرد السيد الخميني برسالة موجهة إلى الشاه ما نصه: (لن أتخلى عن مسؤولياتي بعون الله، وإذا كان لنا أن نموت فسنكون من الشهداء، وإذا كتبت لنا الحياة فسنكون من الظافرين)⁽¹⁾.

بعث السيد الخميني برسائل إلى جميع رؤساء العالم الإسلامي يطلب مساعدات لأسر ضحايا الانتفاضة، فلم يستحب سوى الرئيس المصري جمال عبد الناصر، الذي بعث مبلغ (150) ألف دولار، والقي القبض على الشخص الذي أراد تسليم المبلغ في مطار طهران، واستغل الشاه الحادثة ليشهر بالسيد الخميني ويضعف من شعبيته، فرد السيد الخميني: أنه لا يحتاج إلى الأموال والنقود التي أرسلها جمال عبد الناصر هي لسد احتياجات الأيتام والأرامل الذين تيتيموا وترملوا نتيجة لحكم الشاه وأبيه⁽²⁾.

يمكن اعتبار انتفاضة خرداد/حزيران أول صدام حقيقي بين الشاه محمد رضا بهلوي والمرجعية الدينية، تمخضت عنه عدة نتائج أساسية بقيت ملازمة للصراع الداخلي في إيران وهي:

- 1- أعلنت الجماهير وقوفها إلى جانب المرجعية الدينية في تصديها لسياسة الشاه الداخلية على الرغم من سياسته القمعية وتقديمها عدد كبير من الضحايا، وهي قوة فرضت على الشاه أن يحسب لها حسابها في أي توجه سياسي داخلي في المستقبل، وبقيت الجماهير على ولائها فكان لها الدور الحاسم في سقوط حكومة الشاه.
- 2- أخذ الشاه يعتمد في سياسته الداخلية في أحيان كثيرة على أجهزته الأمنية المجهزة والمدرية بشكل جيد معتمدا على ولائها المطلق له، وفي أحيان كان يحاول إقناع الجمهور بإصلاحاته وسياسته الداخلية ولكن تجاوب الجمهور معه كان ضعيفا حتى وصل إلى حد القطيعة التامة في مراحل الثورة الإسلامية ولعبت الجماهير الدور الأساسي في إسقاط الحكومة في إيران.
- 3- أثبتت الانتفاضة أن السيد الخميني كان يمثل المرجعية الدينية بشكل مطلق في وقوفه وبشكل حازم في وجه سياسة الشاه وأن جميع ما صدر عنه تجاه أوضاع البلاد الداخلية هو في نفس الوقت يمثل رأي المرجعية، والدليل هو الموقف الصلب والمتكاتف إلى أبعد الحدود من جميع مراجع الدين وفي جميع المدن الإيرانية تجاه قضية اعتقال السيد الخميني والطريقة التي اتبعتها المراجع في موقفهم المعادي للشاه وإنقاذ السيد الخميني من الإعدام والسجن.
- 4- من أهم نتائج انتفاضة خرداد هو تبلور القيادة الميدانية المرجعية للسيد الخميني في مواجهته لسياسة الشاه الداخلية، وتميزت قيادته بأنها جماهيرية نتيجة لقدرته على تحريك الجماهير بشكل سريع وواسع إلى حد أصبحت الجماهير من أهم أسلحة السيد الخميني في مواجهة الشاه.

المبحث الرابع: محاولة الشاه إقصاء المرجعية الدينية بنفي السيد الخميني

قانون الحصانة ونفي السيد الخميني إلى تركيا

لم يكن من الممكن الحفاظ على حكم الشاه محمد رضا بهلوي مع بقاء الخميني في إيران، ولم تطق الحكومة والشاه استمرار هذا الوضع، كما لم يكن من الممكن إسكات صوت السيد الخميني بشتى الوسائل والطرق، فقد قطع السيد الخميني طريقا طويلا خلال عامين فقط، واكتسب تجارب كثيرة، واحتل منزلة مرموقة في المجتمع الإيراني فلما يتمتع بها أحد غيره،

(1) نقلا عن: محمد حسنين هيكل: مدافع آية الله قصة إيران والثورة، ط6، دار الشروق، القاهرة، 2002، ص 120.
(8) وكانت علاقة الشاه محمد رضا بهلوي والرئيس جمال عبد الناصر يسودها النفور والكراهية، بسبب علاقات إيران مع إسرائيل، وكان عبد الناصر يرى أن إيران إذا أرادت علاقات جيدة مع مصر فعليها أن تترك علاقاتها مع إسرائيل، كما كان الشاه يرى في دعم الحركة الوطنية من قبل عبد الناصر تدخلا في شؤون إيران الداخلية، فضلا عن ذلك كان الشاه منزعج من تسمية عبد الناصر للخليج الفارسي بالخليج العربي. للمزيد عن العلاقات الإيرانية - المصرية. ينظر: محمد حسنين هيكل: زيارة جديدة للتاريخ، المصدر السابق، ص 322؛ محمد حسنين هيكل: مدافع آية الله، المصدر السابق، ص 115-116؛ محمد عبد الرحمن يونس العبيدي: إيران وقضايا المشرق العربي 1941-1979، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، 2005م.

واجتاز المرحلة التي يمكن فيها للنظام رفع دعوى ضده وتقديمه للمحاكمة، أو إخافته عن طريق التهديد بإعدامه، فضلا عن إن السلطة كانت عاجزة عن إبعاد أبناء الأمة وفصلهم عنه، لأن تعلقهم وشغفهم به كان يقوي الأواصر فيما بينهم ويدفعهم إلى التضحية بالغالي والنفيس، كما أصبحت إجراءات بإغلاق الأسواق وسحب إجازات العمل من ألكسبه وفصل الموظفين من الدوائر وما شابهها، لا تثير الا السخرية وعدم الاكتراث بين أتباع السيد الخميني المؤمنين بنهجه، فعملت هذه الإجراءات كلها على زيادة التقاف أبناء الأمة حول السيد الخميني أكثر⁽¹⁾.

في عام 1964م قامت حكومة أسد الله علم بطرح قانون الحصانة القضائية للموظفين والخبراء الأمريكيان للمصادقة عليه، وإستحصلت موافقة مجلس النواب عليها، ويقضي القانون بإعفاء المستشارين العسكريين والفنيين الأمريكيان من المسائلة أمام المحاكم الإيرانية، وفي الخامس من تشرين الأول 1963م تمت مصادقة الحكومة عليه، ووافق عليه مجلس الشيوخ في آب 1964م، وصادق مجلس الشورى الوطني في 13 تشرين الأول من العام نفسه⁽²⁾.

كانت سياسة الشاه محمد رضا بهلوي تقوم على أساس بناء جيش كبير، وقام بشراء الأسلحة بكميات كبيرة من الأموال التي يجنيها من بيع النفط⁽³⁾، ورددت المرجعية الدينية بأن هذه الترسانة لا تخدم مصالح الشعب الإيراني، لأنها ترهق ميزانية الدولة، وتبدد ثروة إيران، وتتم على حساب المشروعات الحيوية الأخرى، وترتبط الاقتصاد الإيراني بالاقتصاد الأمريكي سلبا وإيجابا، وتقرض على إيران آلاف الخبراء الأمريكيان، يتمتعون بحكم القانون بما يتمتع به الدبلوماسيون من حصانات وامتيازات، وجعلت من الجيش الإيراني طبقة جديدة تحصل على امتيازات الإقطاعيين وتتمتع برواتب خيالية وميزات عينية لا حصر لها⁽⁴⁾.

عارضت المرجعية الدينية لاسيما السيد الخميني قانون الحصانة القضائية للأمريكان، مما أوصل هذا الأمر ذروته، ووضع الشاه في طريق مسدود، إذ انتقد الشاه وإسرائيل وأمريكا بعنف وفضح ممارسات الحكومة وخطط أسياها، وشرح تفاصيل وإبعاد قانون الحصانة بأسلوب يفهمه كل فئات الشعب، فشكل موقف السيد الخميني تهديدا جديا للشاه أوصله إلى حافة السقوط⁽⁵⁾.

بدأ السيد الخميني بتحركات واسعة وأرسل مبعوثيه إلى مختلف أنحاء إيران ويعلم الشعب الإيراني بأنه سيلقي خطابا في العشرين من جمادي الآخرة 1383هـ، وألقى خطابه بتاريخه المعلن، دون أن يعبا بتهديد الشاه، فأنتقد لائحة الحصانة القضائية وحمل بشدة على الرئيس الأمريكي⁽⁶⁾، وعبر السيد الخميني عن موقفه قائلا: (إنني لا أستطيع أن أعرب عما يحز في قلبي من آلام... وأحصي الأيام بانتظار الموت لما في قلبي من آلام... فلم يبق لإيران عيد... فقد ديس عزنا وزالت عظمت إيران وداسوا عظمة جيش إيران! لقد عرضوا في المجلس قانونا ألحقونا بواسطته بمعاهدة فينا أولا ومنحوا الحصانة للأميركيين ثانيا، ويعني ذلك أن جميع الخبراء العسكريين الأميركيين مع عوائلهم ومع موظفيهم الإداريين وخدمهم وكل ما يتعلق بهم أصبحوا جميعا يتمتعون بحصانة في إيران من كل جريمة، فإذا اغتال طاه أو خادم أميركي مرجع تقليدكم وسط السوق أو سحقه فلا يحق للشرطة الإيرانية أن تمنعه...)⁽⁷⁾

(1) جلال الدين المدني: المصدر السابق، ص 149.

(2) محمد مرتضوي: المصدر السابق، ص 211-214.

(3) روجيه غارودي: الأصولية المعاصرة أسبابها ومظاهرها، ترجمة: خليل احمد خليل، دار عام ألفين، باريس، 1990م، ص 65.

(4) احمد مهابة: المصدر السابق، ص 111.

(5) جلال الدين المدني: المصدر السابق، ص 141.

(6) طارق إسماعيل وجاكين إسماعيل: الحكومة والسياسة في الإسلام، ترجمة: سيد حسان، مركز الحضارة العربية للأعلام والنشر، القاهرة،

1990م، ص 114.

(1) روح الله الخميني: الكشف عن إحياء لائحة الحصانة الدبلوماسية من قبل الملك ومجلسه العميل، قم المقدسة، بتاريخ 20 جمادي

الثانية 1384/26 تشرين الأول 1964م، ص 1.

كان الشاه محمد رضا بهلوي يعلم أن السيد الخميني سيهاجمه بشأن الحصانة القانونية للمستشارين الأمريكيين⁽¹⁾، فبعث من يقنعه بعدم التطرق لأمريكا في أحاديثه لأنها تتفق ملايين الدولارات لتحظى بمكانة في إيران، وعليه فإن التعرض لها وانتقادها يعد أخطر من التعرض للشاه، وعلى السيد الخميني أن يحذر من مهاجمة أمريكا، حتى وإن اضطره الأمر إلى مهاجمة الشاه فلا ضير، فأدرك السيد الخميني مكن الضعف في النظام وأصدر بياناً في هذا الشأن هاجم به الولايات المتحدة ورئيسها ليندون جونسون⁽²⁾ بما لم تشهده المجابهة السياسية من قبل قائلًا: (يجب أن يعلم الرئيس الأمريكي أنه من ابغض أفراد البشرية في عالمنا المعاصر، وخصمه اليوم في إيران القرآن والإسلام والشعب الإيراني المسلم)⁽³⁾.

أرسل الشاه مبعوثاً إلى السيد الخميني يحمل رسالة مفادها: (أن الشاه يسلم عليه ويبلغه أنه يعتبر أن كل ما للمرحوم السيد البروجردى من مقام ومنزلة وغيره فهو لكم عينا على أن لا يكون لكم أي تدخل في بالدولة وعملها واحترامكم يكون محفوظاً بالكامل)، فأجاب السيد الخميني: (لا أستطيع البقاء ساكناً في كل مورد يلزمني تكليفي الشرعي)⁽⁴⁾، وقال مبعوث الشاه: (إن السياسة كلها غدر وأكاذيب ونفاق، ومن الأفضل أن تتركها لنا)، فأجاب السيد الخميني: (أن هذا الوصف قد يكون صادقاً بالنسبة للسياسة التي يمارسونها، لكنه لا ينطبق على السياسة الإسلامية)، وبعد هذه المقابلة أرسل مبعوث الشاه بياناً إلى الصحف يدعي فيه موافقة السيد الخميني على الفصل بين الدين والسياسة وأن تترك السياسة للسياسيين، وعندما نفى السيد الخميني إلى مدينة النجف الأشرف استنكر البيان ووصفه بأنه أكذوبة (إن الرجل الذي أذاع هذا البيان كان أحق مني بالنفي)⁽⁵⁾.

قام الشاه محمد رضا بهلوي بدراسة الموقف واتخاذ القرار بنفي السيد الخميني إلى تركيا⁽⁶⁾. ففي مساء يوم 3 تشرين الثاني 1964، أقتحم المئات من القوات الخاصة منزل السيد الخميني في قم واعتقل ونقل على وجه السرعة إلى طهران، فتوجهت السيارة التي نقلته إلى مطار مهر أباد وفي صبيحة 4 تشرين الثاني 1964 حمل السيد الخميني على طائرة خاصة إلى أنقرة⁽⁷⁾.

نفى الشاه السيد الخميني إلى تركيا لأن طبيعة النظام السياسي التركي علماني متعصب ضد الدين الإسلامي وضد المتدينين، فضلاً عن التعاون الوثيق بين الأجهزة الأمنية التركية والإيرانية، ففي تركيا يتاح لنظام الشاه مراقبة السيد الخميني بالتعاون مع المخابرات التركية، سمح للسيد الخميني في البداية الاستقرار في أنقرة⁽⁸⁾، ثم انتقل إلى مدينة بورصة التي استقر بها مع مجموعة من طلبته قرابة السنتين ثم سمح له بالتوجه إلى النجف الأشرف التي بقي فيها حتى سنة 1978م⁽⁹⁾.

بقي السيد الخميني في تركيا أحد عشر شهراً تحت الإقامة الجبرية، كتب مجموعة من آراءه الفقهية تحت عنوان (تحرير الوسيلة)⁽¹⁰⁾.

(2) للمزيد عن قانون الحصانة والعلاقات بين الولايات المتحدة وإيران في عهد محمد رضا بهلوي ينظر: علي بنى لوجي: إيران وأمريكا، مؤسسة فرهنكي دانش واندیشه معاصر، جاب جهارم، تهران، 1378 هـ؛ مير احمد رضا حاجتي: عصر امام خميني، انتشارات دفتر تبليغات اسلامي، قم، 1381 هـ، ص 243-283.

(3) ليندون جونسون ولد عام 1908، الرئيس السادس والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية (1964-1966)، عمل لمدة طويلة في الكونغرس الأمريكي، أصبح نائب للرئيس الأمريكي، نجح بتولي الرئاسة بعد اغتيال الرئيس الأمريكي جون أف كندي، كان من أهم قادة الحزب الديمقراطي، زاد من التدخل الأمريكي في فيتنام، انتخب رئيساً عام 1964، تدهورت شعبيته بعد عام 1966، وضعت فرصته في الانتخابات نتيجة لاضطرابات في حزبه، واضطر للانسحاب من الانتخابات عام 1968، توفي عام 1973؛ عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1985، ص 120-121.

(4) روح الله الخميني: الكشف عن إحياء لائحة الحصانة الدبلوماسية من قبل الملك ومجلسه العمل، المصدر السابق، ص 3.

(5) غلام علي رجائي: قيسات من سيرة الإمام الخميني القيادية، ترجمة: لجنة التعريب والتحقيق في الدار الإسلامية، الدار الإسلامية، بيروت، 2005، ص 16-17.

(6) نقلاً عن: محمد حسنين هيكل: مدافع آية الله، قصة إيران والثورة، ط 7، دار الشروق، القاهرة، 2006م، ص 183.

(7) تيري كوفيل: المصدر السابق، ص 55.

(8) عماد الدين باقي: بررسي انقلاب ايران، نشر تفكر، تهران، جلد أول، 1370 هـ، ص 170؛ حميد روحاني: المصدر السابق، ص 741.

(9) محمد الشيخ هادي الاسدي: الإمام الحكيم عرض تاريخي لدوره السياسي والثقافي، مؤسسة آفاق، (د.م)، 2008، ص 279.

(10) صلاح عبد الرزاق الربيعي: الإسلام السياسي والدولة الإسلامية المعاصرة، دار الحوراء، بغداد، 2006م، ص 98.

(11) محمد رضا وصفي: إطلالة على أسلمة السلطة وأنسنة الساسة في فكر الإمام الخميني، دار الهادي بيروت، 2008م، ص؛ الإمام الخميني: تحرير الوسيلة، الجزء الأول، ص 472.

تضافرت عدة عوامل أدت إلى نفي السيد الخميني خارج إيران منها:

- 1- لها من المنفى وهي تفرض على القائد عدم التعامل مع الأحداث بصورة مباشرة، وصلت الأمور إلى طريق مسدود بين المعارضة الدينية بزعامة السيد الخميني وحكومة الشاه، فالأخير كان متمسكا بسياسته الداخلية القائمة على أساس العلمانية والتحديث وفق النمط الغربي الأوروبي وعلاقاته المتينة مع الولايات المتحدة الأميركية وإسرائيل.
 - 2- كان الشاه يحاول أن يحكم إيران بفكرته الخاصة بعيدا عن أية معارضة، بينما كان السيد الخميني يقابل كل خطوة يخطوها الشاه بردة فعل معاكسة مستخدما الكلمة والمنبر والجماهير، فأعتقد الشاه أن حكمه لا يستتب في إيران إلا بإبعاد الخميني.
 - 3- اعتقاد الشاه بأن عزل الخميني عن الجماهير سينهي الثورة أو على الأقل يؤدي إلى إضعافها وهذا ما حدث فعلا واستمر الوضع كذلك واستبد الشاه بحكم إيران لعقدين من الزمن.
- بنفي السيد الخميني انتهت مرحلة مهمة من مراحل تاريخ إيران والثورة الإسلامية، مرحلة المواجهة المباشرة، وبدأت مرحلة قيادة الثورة والتخطيط أو التفاعل معها بشكل أكثر فعالية، واستمر ذلك لمدة طويلة من الزمن.

الخلاصة والاستنتاجات

من خلال دراستنا لموقف المرجعية الدينية في إيران من سياسة الشاه محمد رضا بهلوي الداخلية توصلنا إلى ما يأتي:

تمثلت السياسة الداخلية للشاه محمد رضا بهلوي بعدد من القوانين التي مثلت مشاريعه الإصلاحية و كانت في جوهرها جزء من سياسة التحديث على وفق النمط الأوروبي الذي تبناه وأخذ يعمل على تطبيقه في إيران في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأثرت سياسة الشاه محمد رضا بهلوي على العلاقة بين الحكومة من جانب والمرجعية الدينية والشعب من جانب آخر، ومن تلك القوانين، قانون مجالس الولايات، الذي كتب بشكل يناقض الشريعة الإسلامية، في كثير من بنوده الأساسية، مما أدى إلى معارضة المرجعية الدينية له عندما عرض على استفتاء الشعب. كما قام الشاه بإعلان مشروعه (الثورة البيضاء) عام 1963 م، وهي عدد من القوانين الاجتماعية والاقتصادية والإدارية، لإدارة شؤون الدولة حسب توجهاته السياسية. ونتيجة لذلك حدثت انتفاضة خرداد (حزيران) 1964م، التي مثلت بداية الثورة الإسلامية في إيران بقيادة آية الله الخميني.

تطور موقف المرجعية الدينية من سياسة الشاه واتخذ شكل المراحل بصورة تصاعدية، ففي الطور الأول تمثل بالموقف من (الثورة الزراعية)، التي لم يكن للمؤسسة الدينية موقفا قويا منها لعدة أسباب (بالرغم من توزيع الحكومة لأراضي الأوقاف الدينية التابعة للمؤسسة الدينية)، لعدة أسباب منها، أن القيادة المرجعية لم تتبلور بعد وفاة المراجع الكبار في إيران (الكاشاني و البروجردي)، فضلا عن انه لا يمكن لأحد أن يقف بوجه المشروع لأنه سيتهم بأنه رجعي ويساند الإقطاع ويقف بوجه مصلحة الطبقة الفقيرة.

تمثلت المرحلة الثانية لموقف المرجعية الدينية، في معارضتها لتعديل قانون الانتخابات الذي ألغى الكثير من المبادئ الإسلامية في الدستور الإيراني، فكان من نتائج الموقف المعارض للمؤسسة الدينية، بروز مرجعية السيد روح الله الموسوي الخميني، ووقوفها ضد توجهات الشاه العلمانية كمرجعية ذات فكر يحمل مشروع إسلامي متكامل قابل للتطبيق في إيران يواجه مشروع الشاه الغربي. وثانيا، وقوف الجماهير وبشكل منقطع النظير خلف مرجعية السيد الخميني وتعبئتها إسلاميا ضد توجهات الشاه العلمانية، وثالثا اضطرار الشاه على إلغاء القانون نهائيا، وهذه المرحلة من الصراع تركت آثارا واضحة استمرت حتى سقوط نظام الشاه.

استندت المرجعية الدينية إلى الإسلام في تشريعها لوجهة نظرها في مواجهة سياسة الشاه، لذلك استحكم الصراع ليتخذ طابعا مصيريا، وأدى ذلك إلى تشكيل قيادة إسلامية بزعامة السيد الخميني ضد سياسة الشاه محمد رضا بهلوي،

واستمرت المواجهة في المرحلة الأخيرة لتصل إلى استعمال الشاه للقوة المسلحة ضد الجماهير المساندة للمشروع الإسلامي فهجم جند الحكومة على المدرسة الفيضية التي كان من نتائجها حدوث انتفاضة خرداد (حزيران) 1963م، التي راح ضحيتها الآلاف، واشتدت بعد اعتقال السيد الخميني، ولم تتوقف إلا بعد إطلاق سراحه، وعدت تلك الحادثة في التاريخ الإيراني بداية الثورة الإسلامية في إيران.

اشتد الصراع في إيران بين المرجعية الدينية والشاه وأجهزته الأمنية، وأخذ الصراع طابع الديمومة والشدة حتى وصل حدا أصبح معه السيد الخميني يعارض جميع سياسات الشاه الداخلية والخارجية، فأحس الشاه بأنه لا يستطيع حكم إيران بشكل مطلق إلا بإبعاد السيد الخميني خارج إيران فكان السبب موقفه من القوانين التي أصدرتها حكومة الشاه بمنح الحصانة للمستشارين والعسكريين الأميركيين العاملين في إيران، الأمر الذي واجهه الخميني بشدة مما أدى إلى إبعاده عام 1964م، إلى تركيا.

قائمة المصادر

أولاً: الوثائق

وثائق مركز اسناد انقلاب اسلامي

- 1- م.أ.أ.،، موضوع: خليي خليي فوري، شماره 199، تاريخ 42/3/15.
- 2- م.أ.أ.أ.، موضوع: خليي خليي فوري، شماره 201، تاريخ 42/3/15.
- 3- م.أ.أ.أ.، موضوع: تظاهرات در بازار طهران، شماره 311، تاريخ 42/3/15.
- 4- م.أ.أ.أ.، موضوع: كليه ساواكهاى خارج از مركز وخارج از كشور، تاريخ 42/3/15.
- 5- م.أ.أ.أ.، موضوع: كليه ساواكهاى خارج از مركز وخارج از كشور، شماره 332/984، تاريخ 42/3/16.
- 6- م.أ.أ.أ.، موضوع: وضع أصفهان وشهرستان، شماره 302، تاريخ 42/3/16.
- 7- م.أ.أ.أ.، موضوع: اظهارات سيد جعفر بهبهاني، شماره 870 بخش 312، تاريخ 42/3/18.
- 8- م.أ.أ.أ.، موضوع: انتشار شايعه در مورد مرجعيت تقليد، شماره 941 بخش 312، تاريخ 43/3/22.

الوثائق المنشورة - بيانات وخطب علماء الدين

- 1- بيان السيد احمد الموسوي خوانساري في 13 محرم 1383 هـ / 16 خرداد 1342 هـ ش.
- 2- روح الله الخميني: شجب صمت الحكومة إزاء الاستكبار الشعبي حول تعديل لائحة المجالس المحلية، قم المقدسة، بتاريخ 13 جمادي الثانية 1382 هـ / 11 تشرين الثاني 1962م.
- 3- _____: إجراءات الحكومة الشكلية حول إلغاء لائحة المجالس المحلية، قم المقدسة، بتاريخ 3 رجب 1382 هـ / 30 تشرين الثاني 1962م.
- 4- _____: التحذير من عواقب الاستفتاء الشعبي على مشروع الملك، وضرورة تحلي العلماء والشعب باليقظة والمقاومة، قم المقدسة، بتاريخ شعبان 1382 هـ / كانون الثاني 1963م.
- 5- _____: الاستعداد لتحمل الصعوبات والصبر والاستقامة أمام المصائب، قم المقدسة، بتاريخ 25 شوال 1382 هـ / 22 آذار 1963م.
- 6- _____: الملك و(إسرائيل) هما أساس معاناة الشعب الإيراني، قم المقدسة، بتاريخ 10 محرم 1383 هـ / 3 حزيران 1963م.
- 7- _____: الحث على زيارة المدرسة الفيضية ومستشفيات قم للإطلاع عن كثب على عمق جريمة النظام، قم المقدسة، بتاريخ 26 شوال 1382 هـ / 23 آذار 1963م.

- 8- _____: الكشف عن إحياء لائحة الحصانة الدبلوماسية من قبل الملك ومجلسه العميل، قم المقدسة، بتاريخ 20 جمادي الثانية 1384هـ/26 تشرين الأول 1964م.
- 9- بيان السيد شهاب الدين المرعشي الأنجفي في 12 محرم 1383هـ/15 خرداد 1342هـش.
- ثانياً: الكتب العربية**
- 1- إبراهيم الدسوقي شتا: الثورة الإيرانية الجذور الأيدلوجية، الزهراء للأعلام العربي، القاهرة، 1988.
- 2- احمد حسين يعقوب: الإمام الخميني والثورة الإسلامية في إيران، مطبعة الغدير، بيروت، 2000.
- 3- احمد مهابة: إيران بين التاج والعمامة، دار الحرية، القاهرة، 1989.
- 4- احمد الموصلي: موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005.
- 5- احمد الواسطي: سيرة وحياة الإمام الخوئي، دار الهادي، بيروت، 1998م.
- 6- الثورة الإسلامية في إيران: دروس في التجربة (سلسلة محاضرات أقيمت في المعهد العالي للفكر الإسلامي) واشنطن، 1991.
- 7- السيدة زهرة: الثورة الإيرانية، الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بجريدة الأهرام، القاهرة، 1985م.
- 8- الكوثر: مجموعة من خطابات الإمام الخميني التي تتضمن تسجيلاً لوقائع الثورة الإسلامية خلال الأعوام (1962-1978)، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، طهران، 1996.
- 9- أمل حمادة: الخبرة الإيرانية، الانتقال من الثورة إلى الدولة، الشركة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2008م.
- 10- أمين هويدي: حروب عبد الناصر، بيروت، 1977م.
- 11- جاسم إبراهيم الحياي: التغلغل الإسرائيلي في إيران وأثره في الأمن الوطني العراقي (1950-1967م)، دار الأوائل، دمشق، 2006م.
- 12- جعفر الخليلي: موسوعة العتبات المقدسة، ج1، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1987م.
- 13- حسن عيسى الحكيم: المفصل في تاريخ النجف الأشرف، ج7، مكتبة الكوفة، بيروت، 2008م.
- 14- حسن كريم الجاف: موسوعة تاريخ إيران السياسي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2008.
- 15- حميد الأنصاري: حديث الانطلاق، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، طهران، 2005م.
- 16- _____: الأمام الخميني من المهد إلى اللحد، المكتبة الجعفرية، (د.م) 2003.
- 17- رزاق مخور داود: من عظماء العصر الحديث (الحكيم و الخوئي)، دار الأندلس، النجف الأشرف، 2003م.
- 18- روح الله الخميني: تحرير الوسيلة، الجزء الأول.
- 19- _____: الحكومة الإسلامية، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، طهران، 1996.
- 20- _____: كشف الأسرار، دار مكتبة الرسول، بيروت، 1992م.
- 21- زهير مارديني: الثورة الإيرانية بين الواقع و الأسطورة، دار اقرأ، بيروت، 1986.
- 22- سليمان الحكيم: حوارات عن عبد الناصر، بيروت، 1994م.
- 23- صلاح الخرسان: الإمام السيد محمد باقر الصدر في ذاكرة العراق، أضواء على تحرك المرجعية الدينية والحوزة العلمية في النجف الأشرف 1958-1992م، مؤسسة البلاغ، بيروت، 2004م.
- 24- صلاح عبد الرزاق الربيعي: الإسلام السياسي و الدولة الإسلامية المعاصرة، دار الحوراء، بغداد، 2006م.
- 25- طارق البشري: الحركة السياسية في مصر، القاهرة، 1972م.
- 26- عبد الحسن الأمين و طراد حمادة: الإمام أبو القاسم الخوئي زعيم الحوزة العلمية، مؤسسة الخوئي، لندن، 2004م.

- 27- عبد الكريم آل نجف: من إعلام الفكر والقيادة المرجعية، ج1، مركز الهدى للدراسات الحوزوية، النجف الأشرف، 2007م.
- 28- عبد الفتاح أبو عيشة(إعداد): موسوعة القادة السياسيين (عرب وأجانب)، دار أسامة، عمان، 2005م.
- 29- عبد المنعم ألحفني: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب و الحركات الإسلامية، ط2، القاهرة، 1999م.
- 30- عبد الوهاب ألكيالي: موسوعة السياسة، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1985.
- 31- عزيز السيد جاسم: مقتل جمال عبد الناصر، ط2، دار آفاق، النجف الأشرف، 1985م.
- 32- علي البغدادي: إيران تاريخ وحضارة، ط2، المركز الثقافي للدراسات الإسلامية، بغداد، 2010م.
- 33- علي البغدادي وآخرون: قراءات في فكر الإمام الخميني، ج1، المركز الثقافي للدراسات الإسلامية، بغداد، 2010م.
- 34- فهمي هويدي: إيران من الداخل، ط4، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1991.
- 35- كمال مظهر احمد: دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، بغداد، 1985م.
- 36- مؤسسة الغري للمعارف الإسلامية: علماء قياييون، النجف الأشرف، 1431هـ.
- 37- مؤسسة الغري للمعارف الإسلامية: علماء قياييون، آية الله العظمى الإمام الخميني(قدس سره)، النجف الأشرف، 2010.
- 38- مجموعة مؤلفين: قراءات في السيرة والمسيرة، ترجمة: مجموعة مترجمين، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، 2010.
- 39- محسن الأمين: أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، ج38، دار التعارف، بيروت، 2006.
- 40- محمد إسحاق الفياض: نبذة مختصرة من الحياة العلمية المزدهرة للسيد الخوئي، مؤسسة النجف الأشرف، النجف الأشرف، 2004م.
- 41- محمد باقر الناصري: من معالم الفكر السياسي في الإسلام، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1988م.
- 42- محمد حسنين هيكل: زيارة جديدة للتاريخ، دار الشروق، القاهرة، (د.ت).
- 43- _____: مدافع آية الله، قصة إيران والثورة، ط7، دار الشروق، القاهرة، 2006م.
- 44- محمد حسين علي الصغير: أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف، مؤسسة البلاغ، بيروت، 2003م.
- 45- محمد رضا وصفي: إطلالة على أسلمة السلطة وأسننة الساسة في فكر الإمام الخميني، دار الهادي بيروت، 2008م.
- 46- محمد الشيرازي: قم المقدسة، مطبعة سبهر، (د.ت)، 1422هـ.
- 47- محمد الشيخ هادي الأسدي: الإمام الحكيم عرض تاريخي لدوره السياسي والثقافي، جزآن، مؤسسة آفاق للدراسات والأبحاث العراقية، بغداد، 2008م.
- 48- محمد عبد الجليل: المرجعية الشيعية و القضية الفلسطينية، مؤسسة الفكر الإسلامي، هولندا، 1995.
- 49- محمد الغروي: مع علماء النجف الأشرف، مجلد 2، دار الثقليين، بيروت، 1999م.
- 50- محمد هادي الأميني: معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، ط2، النجف الأشرف، 1992م.
- 51- مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج4، دار رواد النهضة، بيروت، 1995.
- 52- نعيم قاسم: الأمام الخميني الأصالة والتجديد، دار المحجة البيضاء، بيروت، 2012م.
- 53- نوره الهيداني: الإمام الخميني رائد الوحدة في القرن العشرين، المركز الثقافي للدراسات الإسلامية، بغداد، 2010.
- 54- هاشم فياض الحسيني: لمحات من حياة الإمام المجدد السيد الخوئي، الدار الإسلامية، بيروت، 1996م.
- 55- وليد محمود عبد الناصر: إيران صعود وهبوط التيار الإسلامي التقدمي في إيران 1965-1981م، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1993م.

56- _____: إيران، دراسة عن الثورة والدولة، دار الشروق، القاهرة، 1997م.

ثالثاً: الكتب الأجنبية والمعرية

- 1- إدموند بيرك وإيرا لابييدوس (تحرير): الإسلام والسياسة والحركات الاجتماعية، ترجمة: محروس سليمان، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000م.
- 2- اصغر حيدري: آيت الله شريعتمداري به روایت اسناد، مركز اسناد انقلابي، تهران، 1388هـ.ش.
- 3- باقر عاقلی: شرح حال رجال سياسي ونظامي ایران، جلد أول، تهران، 1380هـ.ش.
- 4- تييري كوفيل: إيران الثورة الخفية، ترجمة: خليل احمد خليل، دار الفارابي، بيروت، 2008م.
- 5- جرهارد كونسمان: سطوع نجم الشيعة، ترجمة: محمد أبو رحمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1993.
- 6- جعفر مهدي نيا: زندكي سياسي علي اميني، تهران، 1368هـ.ش.
- 7- حميد روحاني: تحليلي از نهضت إمام خميني، جلد أول وسوم، قم، 1358ش.
- 8- رجال عصر بهلوي، علي اميني به روایت اسناد ساواك، جلد دوم، 1379هـ.ش.
- 10- رسول جعفريان، جريان ها و سازمان هاى مذهبى - سياسي ایران، نشر علم، تهران، 1390هـ.ش.
- 11- روجيه غارودي: الأصولية المعاصرة أسبابها ومظاهرها، ترجمة: خليل احمد خليل، دار عام ألفين، باريس، 1990م.
- 12- سجاد ايزدهي: فقه سياسي امام خميني، تهران، 1390ش.
- 13- سهراب اصلاحي: بزوهشى در تحولات سياسي معاصر ایران، دانشگاه امام حسين (ع)، تهران، 1386هـ.ش.
- 14- علي اكبر معلم: علل وعوامل فروباشي رزيم بهلوي، جاب دوم، تهران، 1387ش.
- 15- علي اكبر ولايتي: ایران وتطورات القضية الفلسطينية، ترجمة: عبد الرحمن العلوي، دار الهادي، بيروت، 2006.
- 16- علي بنى لوجي: ایران وأمريكا، مؤسسة فرهنگي دانش وانديشه معاصر، جاب چهارم، تهران، 1378هـ.ش.
- 17- علي دواني: نهضت دوماهه علماي ایران، قم، 1962.
- 18- علي دواني: نهضت روحانيون ایران، بنياد فرهنگي امام رضا (ع)، جلد دوم، 1377هـ.ش.
- 19- علي ناغي علي خان (إعداد): الشاه.. وأنا، المذكرات السرية لوزير البلاط الملكي (أسد علم) الأسرار الكاملة لأيام الشاه الأخيرة قبل الثورة الإسلامية بإيران، ترجمة: فريق من الخبراء العرب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2011م.
- 20- عليرضا ملائي تواني: زند كينامه سياسي آيت الله طالقاني، تهران، 1388ش.
- 21- عماد الدين باقى: بررسي انقلاب ایران، نشر تفكر، تهران، جلد أول، 1370هـ.ش.
- 22- عميد زنجاني وعباسعلي: انقلاب اسلامي وريشه ها ودستورها، انتشارات جواد الأئمة عليه السلام، مشهد، 1376ش.
- 23- غلام رضا نجاتي: التاريخ إيران المعاصر، ترجمة: عبد الرحيم الحمراني، مطبعة ستار، قم المقدسة، 2008م.
- 24- غلام علي رجائي: قبسات من سيرة الإمام الخميني القيادية، ترجمة: لجنة التعريب والتحقيق في الدار الإسلامية، الدار الإسلامية، بيروت، 2005.
- 25- طارق إسماعيل و جاكليين إسماعيل: الحكومة والسياسة في الإسلام، ترجمة: سيد حسان، مركز الحضارة العربية للأعلام والنشر، القاهرة، 1990م.
- 26- محسن بهشتي سرشت: زمانه و زندكي امام خميني، تهران، 1391ش.
- 27- محمد مرتضوي: شناخت انقلاب اسلامي زمنيها ودستورها، انتشارات جواد الأئمة عليه السلام، مشهد، 1376هـ.ش.
- 28- محمد هاشمي تروجني وحמיד بصيرت منش: تاريخ معاصر ایران ازديكاه امام خميني، تهران، 1388ش.
- 29- مرتضى بسنديده: خاطرات آيت الله بسنديده، تهران، 1386ش.
- 30- مهدي بامداد: شرح حال رجال ایران در قرن 12و13و14، انتشارات فردوس، تهران، 1384هـ.ش.

31- موسى نجفي وموسى حقاني: تاريخ معاصر إيران، اصفهان، 1390ش.

رابعاً: الدوريات

1- صحيفة كيهان الصادرة في 1 كانون الأول 1962م

2- صحيفة كيهان الصادرة بتاريخ 28 كانون الثاني 1963.

3-عباس أوصالحى: الإمام الخميني (ره) والمرجعية الدينية، مجموعة باحثين: آراء في المرجعية الدينية، دار الروضة، بيروت، 1994م.

خامساً: الرسائل والاطاريح الجامعية:

1- عادل محمد حسين العليان: التغلغل الصهيوني في إيران، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2003م.

2- محمد عبد الرحمن يونس ألببيدي: إيران وقضايا المشرق العربي 1941-1979، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، 2005م.